الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

المـــــوضـــوع:

أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة

رواية راس المحنة 1+1=0 لعز الدين جلاوجي

إعداد الطالبة :
حمداوي فتيحة

إشـــراف:
د. بشيري أحمد

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	بن اعمر محمد	**رئيسا**
أ.الدكتورة	عمارة حياة	**ممتحنا**
أ.الدكتور	بشيري أحمد	**مشرفا مقررا**

العام الجامعي: 2019-2018/1440-1439

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

اللّذين أوصى بهما الرحمن خيرا، إلى ينبوع الحنان والمحبة والديّ الكريمين، أهدي لكما هذا العمل الذي أعتبره عربون محبة واحترام لكما.

إلى أخواتي: إكرام وبهجة البيت شهيناز، وأخي ياسر، إلى رفيقتيّ دربي صديقتيّ أمينة، سارة.

إلى جدتي الغالية التي لم تبخل عليّ بدعائها، وجميع أفراد عائلتي كل باسمه.

وإلى البراءة: صفاء، مروة، سلمى، قاسم، إياد، مريم. وإلى كل من ساندني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ "بشيري أحمد".

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على إنجاز هذا العمل، أول من أخصه بالشكر هما الوالدين العزيزين أمي وأبي أشكرهما جزيل الشكر لدعمهما لي طيلة مشواري الدراسي ولولا فضلهما لما وصلت إلى هذه المرحلة من الدراسة.

كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل "بشيري أحمد" الذي لم يبخل عليّ بنصائحه، والتي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث.

إلى أهل الفضل الذين ساعدوني في إنجاز هذا البحث وفي مقدمتهم أختي العزيزة إكرام، والأخت عمارة، وإلى رفيقة دربي صديقتي العزيزة أمينة وأختها أسمهان أشكركم جميعا جزيل الشكر وجزاكم الله خيرا

إن الأدب بمختلف أجناسه صورة عن وعي مكتسب لدى الشعوب، وعليه فهو يحمل تجارب الأمم عبر التاريخ، يغوص في أعماق المجتمعات ويرصد جوانب الحياة فيها بأفراحها وآلامها، ومن بين هذه الأجناس الأدبية الرواية باعتبارها أطول وأوسع الأجناس الأدبية هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن الحياة خاصة إذا كانت هذه الأخيرة متأزمة ذات تفاصيل غامضة ومعقدة، فالإشكالية الأساسية للنصوص الروائية تعود بالأساس إلى تلك العلاقات التي تحيط بها من كل جانب، كعلاقة النص بمؤلفه، أو علاقة المؤلف بمجتمعه، لذلك نجد معظم النصوص الروائية تتصل اتصالا وثيقا بواقع المجتمع ومشاكله ومحنه.

والرواية الجزائرية كغيرها من الروايات حملت في طياتها واقع المجتمع الجزائري وظروفه الصعبة التي مرّ بها، وكما يقال الأديب هو ابن بيئته، هذا هو حال الروائي الجزائري المهتم بقضايا وطنه، وهموم مجتمعه، ومن هنا جاء الاهتمام برواية المحنة التي تطرقت لموضوع المحنة الوطنية طيلة عشرية سوداء عصفت بالجزائر، فكانت مرحلة حساسة من تاريخ الجزائر شهدت فتنة كبيرة وحرب أهلية، فأصبح الواقع الجزائري لوحة سوداء عارمة بدّماء الأبرياء، وكان من الطبيعي أن تفرض كل هذه الظروف كتابة مختلفة بوعي جديد، يوحي بثراء التجربة ونضج الرؤيا لدى الروائي، فقد اتخذت رواية المحنة من الجزائر منبعًا ينهل منه فضاء من دراما الواقع بتناقضاته، فأنتجت نصوصا إبداعية تميزت بتمركزها حول ملابسات الواقع بصورة متباينة، كما شهدت هذه المرحلة تحولات عميقة فوجد الروائي نفسه يتوحد مع هذه التحولات التي انعكست على التجربة الروائية و واكبت هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، فحاولت تفسير أسباب المحنة وطرح جملة من الأسئلة حول قضايا الراهن المتّسم بالعنف، ورصد خلفيات المحنة الجزائرية وتقدير أبعادها وآثارها ومحاولة البحث عن الحلول للخروج من هذه المحنة بطرق سلمية بعيدا عن العنف، فكانت شهادات كتبت تحت ضغط الأحداث بصفة استعجالية لتسجيل الراهن الجزائري، كما اتسمت رواية المحنة بالجرأة والشجاعة نظرًا لحساسية الموضوع

وغموضه، وبهذا يمكن القول أن القلم والسلاح لا يليقان بأصحاب الأيادي المرتعشة فمن يحمل السلاح وهو خائف ومتوتر عكس الذي يحمله بشجاعة لذلك لا يليق به حمل السلاح، هذا هو حال الكاتب الذي يحمل قلمه وهو مقيد بحواجز لا يستطيع تجاوزها، فهناك من الأدباء من ليس لهم الجرأة في الخوض في الموضوعات الحساسة، وذلك راجع لأسباب وقيود من عدّة جهات، وفي المقابل هناك أدباء تحرروا من تلك الحواجز والقيود، فعبروا بكلّ حرية وشجاعة وصدق عن قضايا وطنهم، ولهذا فإن القلم يليق بهؤلاء الأدباء أصحاب الأيادي النزيهة والجريئة، فالقلم سلاح ذو حدين، من خلاله يستطيع الكاتب المساهمة في معالجة قضايا وطنه ومشاكل مجتمعه، هذا ما قام به الروائيون الجزائريون في التسعينات إذ سخروا قلمهم خدمة لقضايا وطنهم، فرغم خطورة تلك المرحلة إلاّ أنّهم عبروا بكل جرأة عن موقفهم ورفضهم للواقع، وهذا ما فعله عز الدين جلاوجي في روايته راس المحنة 1+1=0 التي قمت باختيارها كنموذج لبحثي. وقد وقع اختياري لهذا الموضوع لتسليط الضوء على مرحلة حساسة من تاريخ الجزائر ما يزال جزء منها غامض، ومحاولة كشف بعض خصائص الكتابة الروائية التي عالجت المحنة الوطنية وعرفت كيف تتفاعل مع الفترة التسعينية الصعبة بشكل ومضمون مختلفين.

تعود علاقتي بالمحنة الوطنية كوني عشتها في مرحلة الطفولة، لتترك في نفسي ألما لما سمعته عن الوضع المزري والخوف الذي ملك قلوب الجزائريين، هذا ما ولّد بداخلي فضولا في معرفة ما يخصّ تلك المرحلة المتأزمة من تاريخ الجزائر، ولم تكن لي الفرصة للبوح إلى غاية دراستي الجامعية، حيث درست عدة أعمال روائية عالجت موضوع المحنة الوطنية، وكان هذا سببا لاختياري لهذه الرواية، بالإضافة إلى أسباب أخرى منها: الاهتمام المتزايد في العقود الأخيرة بهذا الجنس الأدبي، حيث كانت الرواية الجنس الأدبي الملائم لتعبير عن هذه المحنة، وبخصوص اختياري لرواية "راس المحنة 1+1=0" لعز الدين جلاوجي، بعد تفكير طويل وتردد لصعوبة

المفاضلة بين مجموعة من الروايات التي عالجت المحنة، واستقر رأيي في الأخير على هذه الرواية، فعنوانها أثار لي فضولا لمعرفة محتواها، فالعملية الحسابية الخاطئة "1+1=0" لفتت انتباهي وولدت بداخلي عدة تساؤلات فهل أخطأ عز الدين جلاوجي في هذه العملية؟ لكن بعد قراءة عميقة اكتشفت أنه لم يخطئ، فهي عملية صحيحة نظرًا للواقع الجزائري، بالإضافة إلى مصطلح المحنة الذي هو عنوان الرواية وعنوان بحثي، فكنت على يقين أن الرواية تعالج موضوع المحنة، فهذا العنوان الملغم والمركب بأسلوب أدبي وأسلوب رياضي دفعني لاختيار هذه الرواية، فراس المحنة كانت منسجمة مع الأفكار والتساؤلات التي كانت تدور في ذهني عن سبب المحنة ومن المتسبب فيها، فالعنوان كان من أكثر الأسباب تحفيزا لي لدراسة هذه الرواية، بالإضافة أنّها قدّمت قراءة صحيحة وجريئة لعبثية الراهن، وتصوير دقيق لحالة الشعب الجزائري في تلك الفترة الصعبة والأجواء المكهربة التي كانت تتحكم في نفسية كل مواطن، حيث كان العنف والقتل والاغتيال سيد الموقف، كما أن ميولي لدراسة الإبداع الجزائري دفع بي لاختيار هذه المواضيع الحساسة المتعلقة بقضايا مجتمعنا ومشاكله.

وللإحاطة بهذا الموضوع كان لا بدّ من طرح إشكالية والتي تمحورت في عدّة تساؤلات:

بما تميزت الكتابة التسعينية؟ وما هي المواضيع التي عالجتها؟ وهل اكتفى الروائيون بالإبداع أم أنّهم راهنوا على التجريب فأنتجوا نصا مغايرًا للمألوف؟ كيف صورت الرواية المحنة الوطنية؟ وهل استطاعت أن تبوح بكل تفاصيلها؟ وإلى أي مدى جسد عز الدين جلاوجي هذه المحنة؟ وكيف تجلت هذه المحنة؟ وكيف كان شكلها الفني؟ إن هذه الأسئلة كانت الهدف الذي سعى بحثي للإجابة عنها، وبناءًا على ذلك سار البحث وفق منهج تكاملي، اعتمادًا على أداة التحليل للنّص الروائي، كما لجأت للأسلوبية في تفكيك وتحليل شفرات النص.

وبناءً على ذلك هندست خطة البحث بمدخل وفصلين، ثم خاتمة وملحق وقائمة للمصادر والمراجع وملخص وفهرسة، وقد جاء كل فصل مقسما إلى مباحث.

بالنسبة للمدخل كان مضمونه حول نشأة الرواية الجزائرية وتطورها، والفصل الأول كان بعنوان: الملامح العامة لرواية المحنة وتضمن ثلاثة مباحث، في المبحث الأول عرفت المحنة، لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فتناولت فيه أثر المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة، كما تطرقت في المبحث الثالث على أهم سمات التجريب في رواية المحنة. أما الفصل الثاني كان عبارة عن دراسة تطبيقية لرواية "راس المحنة 1+1=0" لعز دين جلاوجي، في المبحث الأول قمت بعرض المدونة، من خلال دراسة لعالم الرواية شكلا ومضمونًا، وبعدها قمت بتلخيص الرواية، أما المبحث الثاني شمل دراسة البنية الفنيّة والسردية لرواية "راس المحنة 1+1=0"، وقد حللت:(العنوان، الشخصيات إضافة للمكان والزمان واللغة، الحوار.....)، أما المبحث الثالث فقد سلطت الضوء على تجليات المحنة في رواية "راس المحنة 1+1=0" لينتهي البحث بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ومن بين المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها:

- رواية راس المحنة 1+1=0 لعز دين جلاوجي

- رواية في الجبة لا أحد لزهرة ديك

- سرديات المحنة «الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب»، لعبد الحق عمور بلعابد.

- أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات (أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر) لمزادي شارف.

- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) لعبد الملك مرتاض.

أما بالنسبة للصعوبات والعوائق التي واجهتها هي قلة المصادر والمراجع، وصعوبة الحصول عليها بالإضافة إلى صعوبة الإحاطة بالموضوع، نظرا لحساسيته "محنة العشرية السوداء"، وقد حاولت قدر المستطاع تخطي هذه الصعوبات.

وفي النهاية أتقدم بخالص الشكر والتقدير، إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث، وفي مقدمتهم الأستاذ "بشيري أحمد" الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، و لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته، كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه.

أتمنى أن أكون قد وفقت إلى عمل يرضى لجنة المناقشة فإن أصبت فذلك توفيقًا من الله، وإن جانبت الصواب فذلك لقلة خبرتي في مثل هذه الموضوعات.

حمداوي فتيحة

تلمسان في:

4شوال 1440/7جوان 2019

مدخل

نشأة الرواية الجزائرية و تطورها

إن نشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي، حيث لها جذور عربية.« وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوًا روائيا هو "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق لصاحبه محمد بن ابراهيم 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها:

ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس سنة 1852م، 1878م، 1902م»[1] تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسته مثلما تجسده نصوص" غادة أم القرى " 1947م لأحمد رضا حوحو و"الطالب المنكوب "1951م لعبد المجيد الشافعي،و"الحريق" 1957 لنور الدين بوجدرة و"صوت الغرام" 1967م لمحمد منيع .«إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري، اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لعبد الحميد بن هدوقة»[2] ومن خلال هذا يتضح أن فترة السبعينات كانت فترة شهدنا فيها نضجا في الأعمال الروائية و هذا راجع إلى التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري في مختلف المجالات .

« لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع و نقلت مختلف التغيرات التي عرفها المجتمع بحكم الظروف و العوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت صبغة ثورية خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي و دخلت

[1] : عمر بن قينة :في الأدب الجزائري الحديث – تاريخا و أنواعا و قضايا و إعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون –الجزائر، د ط ، 1995ص197إلى 198 .

[2] : بن جمعة بوشوشة:سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر،تونس ط 0،20051،ص07.

فيما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال و انهزام . إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه في زمن الأزمة و اصطلح عليه بأدب الأزمة »[1].

إن العقد الذي تلى الاستقلال مكنّ الجزائر من الانفتاح على اللغة العربية ،ما جعل الأدباء يلجأون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته ، سواء بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية و الاقتصادية والثقافية ومن سمات الرواية في هذه الفترة هي المغامرة الفنية وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد الذي خالف الواقع السياسي الاستعماري على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح.

« إن الطابع السياسي الذي انطبعت به النصوص الروائية في هذه الفترة لا يمنع الطرح الجذري الذي اتسمت به هذه النصوص الروائية و القائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة.»[2]

«ولقد جاء هذا الطابع كحتمية لتركيبة ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة وكل هذا تأتى لهم من خلال انخراطهم في السلك السياسي و معايشتهم للحدث و المساهمة فيه، فالروائيون الأوائل كانوا من جيل الثورة والاستقلال ولذلك تمتعوا بحصانة و تجربة في رصيدهم.»[3]

---

[1] : إدريس بوذيبة:الرؤية و البنية في روايات طاهروطار،منشورات جامعة منتوري ،قسنطينة ،ط1، 2000م،ص من 50إلى 51.

[2] : المرجع نفسه، ص 39 إلى ص41

[3]: أحمد فريحات : أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1984،01م، ص87.

« وقد منح هذا الرصيد من التجربة السياسية هؤلاء الرواد بعدًا سياسيا للرواية التي نشأت بين أيديهم مثلا بن هدوقة أسهم برواياته في إثراء الحركة الروائية».[1]

كتب ابن هدوقة رواية "ريح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية 1971م مساندة للخطاب السياسي من اجل فك العزلة عن الريف الجزائري، «أما الطاهر وطار فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغيرات و التطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال و قد كان للإغراءات الايديولوجية و الفنية التي تميزت بها المدرسة الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال الطاهر وطار تتسم بنوع من التلقائية و الرؤية الشمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد و أفكاره و أفعاله و الحياة بكل صراعاتها »[2].

و يتضح من خلال هذا أن فترة السبعينات كانت مرحلة ناضجة بالنسبة للرواية الجزائرية و هذا ما شهدناه في أعمال الأدباء كرواية "اللاّز" و "الزلزال" و "ريح الجنوب" و غيرها من الأعمال....فكلها أعمال سايرت الواقع الذي عاشه المجتمع الجزائري بعد الاستقلال فكانت الرواية وسيلة عبر بها الأديب و ساهم من خلالها في بناء هذه الدولة الجديدة. أمّا في فترة الثمانينات شهدنا تجربة روائية واصل من خلالها الأدباء في التعبير عن الواقع بكل تفاصيله و مجالاته. «حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، و من التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة" 1981م. و"أوجاع رجل غامر صوب البحر" 1983م»[3].

---

[1] : عمار عموش : دراسات في النقد والأدب، دار الأمل، ط د، 1998،ص 47.

[2]: إدريس بوذيبة : الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار من ص44 الى45

[3] : بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية،ص09.

كما أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة بعنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" 1983م، كما كتب الحبيب سايح رواية "زمن النمرود" 1985م، و من الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب"1985م، "و" حمائم الشفق" 1988م. «و قد أخرج رشيد بوجذرة عدة أعمال روائية كرواية "التفكك" 1982م، و"المرث"1984م و"ليليات امرأة ارق"1985م ومعركة الزقاق 1986م»[1].

ويتضح من خلال هذه النصوص الروائية أنها ذات طابع وطني فكلها عبرت عن الوضع الجزائري قبل الاستقلال وبعده كما أنها أعمال حاولت التجديد والخروج عن المألوف.«شهد عقد الثمانيات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا و جماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري ،إدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال، إضافة أيضا إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية، ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في السبعينات والثمانينات، وما ميزه من مناظر وصور تأزم متأنية من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة»[2].

إنّ رواد الرواية في عقد الثمانيات حاولوا التجديد، إلا أن هذه المحاولات كانت قيمتها محدودة و لم تصل إلى مستوى فيه نوع من التجديد والتحديث وهذا راجع لعدة أسباب.

لقد شهدت الجزائر أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات أحداثا غيّرت مجرى الحياة في الجزائر، أحداث عادت بالجزائر إلى الخوف و العنف و اللّإستقرار حيث عاش الجزائريون محنة في عشرية سوداء، فكانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي عالجت موضوع المحنة في

[1] : بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية،ص 09.

[2] : المرجع نفسه، ص 11.

العشرية السوداء، حيث حاولت هذه النصوص الروائية أن تؤسس لنص روائي يتميز بالإبداع كما أن الأدباء حاولوا التجريب وتأسيس رواية حداثية جديدة. «وما تردّد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة وجحيم الإرهاب»[1].

فرواية التسعينات حاولت معالجة المحنة التي مرّ بها الشعب الجزائري في قالب هيمنّ عليه البعد الإيديولوجي نتيجة للأوضاع المأسوية التي مرّ بها الوطن.

فبعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري والتي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجًا أخر عالج موضوع الأزمة، فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارًا لها ،« فموضوع العنف المعروف إعلاميًا بالإرهاب، كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلّا أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذ لم تكن عشرية الأزمة فقط ،بل كذلك كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1992»[2].

ففي هذه الفترة ظهرت روايات عالجت موضوع العنف والمحنة وآثارها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا «حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة والدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوي زمن الموت" ومحمد ساري في "الورم" فمثلاً في "سيدة المقام" يصور لنا واسني الأعرج معانات مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة». «إن الإرهاب في "سيدة المقام" ليس حديثا عابرا ولا مجرد خبر يقرأ أو يصنع بل إنه أحد مكونات المدينة الروائية ، فهو عنصر حاضر فيها ولو كان كعنصر هدم لا كعنصر بناء ولكنه لا يكفي بتسجيل

[1] : حسين خمري: فضاء المتخيل ــ مقربات في الرواية ،منشورات الإختلاف ط 01، 2002، ص191

[2] : إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية والراهن الوطني، الخبر الأسبوعي العدد 4 ديسمبر 1999، ص14.

حضورها ،و إنما يعطيها أيضا بعدها التاريخي و الإيديولوجي السياسي من غير أن يفرطفيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية فنية»[1].

ويتضح من خلال هذا أن الكتابة الروائية في التسعينات عرفت مسارًا جديدا تجاوزت تلك النصوص التقليدية، حيث لاحظنا أن النص الروائي كانت فيه ثورة على كل القواعد القديمة الفنية التي شهدها في فترة السبعينات والثمانينات فرواد الرواية التسعينية يمكن القول أنهم استطاعوا إبداع وخلق نص روائي جديد في قواعده وتقنياته الفنية و السردية، كما أن مضامين هذه النصوص كانت مسايرة لما عرفته الجزائر في تلك الحقبة.

لقد حاولت الرواية الجزائرية في زمن المحنة و الأزمة عبر لغة السرد أن تأخذنا إلى أدب يحتوي على الرعب و الخوف يحمل كل الأحلام المخيفة، فالمحنة التي حملتها الرواية الجزائرية المعاصرة ساهمت في إبراز هذا الوضع بصورة واضحة كما صورت لنا هذه الكتابة حالة المثقف والصحفي في هذه المرحلة حيث وصفت لنا حالة الرعب و الخوف الذي عانى منها هؤلاء المثقفين من قبل الجماعات الإرهابية التي كانت ترفض الطبقة المثقفة في البلد، فمثلا في رواية " في الجبة لا أحد" لزهرة الديك، وصفت لنا وصفا دقيقا لحالة الخوف و الرعب و التي يمر بها الإنسان المهدد في كل ثانية بالموت بأبشع الطرق حيث مثلتها في شخصية سعيد.

كما نجد نماذج كثيرة تصور لنا هذا الوضع الذي عبر عن خيبة الأمل و اغتراب المثقف داخل وطنه، و عليه يودّ هذا المثقف الهجرة خارج الوطن حتى يكتسب حريته في التعبير عن قضايا وطنه دون خوف و رعب و يظهر هذا جليا في كتابات واسيني الأعرج و غيره من الأدباء الذين استطاعوا بقلمهم نقل كل ما كان سائدًا داخل المجتمع الجزائري أثناء تلك الحقبة.

[1] : مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول سبتمبر، د ط، 1999 ص 316

و من أهم الروايات التي عالجت موضوع المحنة:

رواية "شمس في علبة" لهوارة سعيدة "، "وطن من زجاج" لياسمينة صالح، ورواية راس المحنة 1+1=0 لعز الدين جلاوجي التي قمت باختيارها كنموذج لبحثي المتواضع. وما نستخلصه أن الخطاب الروائي الجزائري هو وليد أفكار سياسية ووطنية و اجتماعية و ثقافية، إذ واكبت الرواية الجزائرية كل التحولات و التطورات التي مرت بها الجزائر في مراحل مختلفة من فترة السبعينات مرورا بفترة الثمانينات وصولاً إلى فترة التسعينات التي كانت حافلة بمختلف التطورات ممّا أثر على الأدباء فتميزت كتاباتهم بنمط جديد حيث اصطلحوا عليها برواية الأزمة أو رواية المحنة.

الفصل الأول:

الملامح العامة لرواية المحنة

لا يخفى على بال أي مثقف ما تشهده الساحة الفكرية والأدبية في الجزائر من غزارة في الرواية، وما حققته من نجاح كبير، فالمتتبع لهذا الإنتاج الأدبي يدرك الإقبال الشديد على هذا السرد الأدبي، فالرواية باعتبارها جنس أدبي هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن الحياة، خاصة إذا كانت هذه الحياة معقدة ومتأزمة ولهذا جاء الاهتمام برواية المحنة أو الأزمة التي عالجت الواقع الجزائري المتأزم في فترة العشرية السوداء، وكان من الطبيعي أن تفرض تلك الظروف كتابة مختلف بوعي جديد وتجربة ناضجة نظرًا للأحداث التي مسّت وأثرت على المجتمع الجزائري، فأصبحنا أمام جنس أدبي يستحق الدراسة والتأمل .

➢ المبحث الأول: تعريف المحنة

أ- لغةً:

جاء في لسّان العرب «محن:المحنة:الخبرة، وقد امتحنه،وامتحن القول: نظر فيه ودّبره.التهذيب وروي عن مجاهد في قوله تعالى:«أولئك الذين امتحن اللّه قلوبهم»قال خلص اللّه قلوبهم وقال أبو عبيدة امتحن اللّه قلوبهم صفّاها وهذّبها وقال غيره الممتحن الموطّأ المدلل، ومحنته وامتحنه:بمنزلة خبرته واختبرته و بلوته وابتليته. وأصل المحن: الضّرب بالسّوط،والمحن:العطية وقال ابن جيني: محونته عاره وتباعته فالعار من أشدّ المحن. والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية، نستجير بكرم اللّه منها»[1].

فمن خلال المعنى اللّغوي للمحنة يتبين لنا أن المحنة وردت بمعنى الاختبار و الابتلاء وكذلك تعني العطية و الضرب والعار.

[1] : ابن منظور: لسان العرب المحيط – المجلد الثالث عشر– دار صادر– بيروت ط03، 2003، ص من 401 إلى 402.

ب- اصطلاحا:

لم اعثر على تعريف اصطلاحي في حدود علمي وما جاء فهو من اجتهادي. المحنة هي امتحان الإنسان و ابتلاؤه بمصيبة، فالمحنة أمر فيه شدة و مشقة فهي شر للإنسان.فكلمة المحنة التي وردت في عنوان هذه الأطروحة تحمل معنى الابتلاء و الامتحان و سميت الرواية التسعينية برواية المحنة أو أدب المحنة بصفة عامة، لأنها استطاعت أن ترصد اغلب مظاهرها و أثارها و هذا ما يؤكد اهتمام الأديب بواقع الجزائر المضطرب و الاقتراب منه و لهذا سمي هذا الجنس الأدبي بأدب المحنة.

➢ المبحث الثاني: أثر المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة

إن الأدب الجزائري شأنه شأن الآداب العالمية انعكاس للراهن الحيني «مما يحدث من تحولات و تغيرات في المسارات التي تصنع التجربة و أفق الترقب في مسيرة الدولة الجزائرية، و لعل الغاية من هذا تكمن في الكشف عن العنف و الإرهاب الذي برز بشكل لافت في التسعينات و قد أثر بوجه أو بأخر على النص الجزائري و يعني ذلك انه ينطوي على متغيرات جديدة في مسار الإبداع الجزائري، و بخاصة في الجنس الروائي الذي تجسده النصوص الإبداعية الروائية التي نتفق على تسميتها من البداية ب" أدب المحنة"، و الواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة و فرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية »[1].

ويتضح لنا من خلال هذا أن الأدب الجزائري و الرواية على وجه الخصوص في التسعينات جاءت بشكل مخالف و مغاير عما كانت عليه في السابق و هذا ما يدل على أن الرواية التسعينية هي رواية فيها خلق و إبداع، فالمشهد الروائي منذ بداية التسعينات اصطدم بجملة من الأحداث السياسية والاقتصادية و الدينية فشكلت هذه الأحداث منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصر،

[1] : مزادي شارف: أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأدبي و الإيديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، المركز الجامعي بسعيدة، 2008، ص 82.

فلقد ألقت مرحلة ما بعد أكتوبر 1988م بظلالها القوية على الرواية الجزائرية المعاصرة«ما جعل الكتابة تكشف عن عبقريتها الخاصة في قدرتها على التحول إلى ملجأ يعتصم به الكاتب من هول الطوفان العارم و إلى سلاح في يده هو الأعزل الذي لا يجيد استعمال سلاح آخر سوى الكتابة محملا إيّاها كل المخاوف والأحزان والشطط وصراخه المبحوح »[1].

لقد حاول الروائي بكل ما يملك من خلال أعماله مسائلة الواقع الجزائري و ملامسة قضاياه الحاملة لكل أنواع العنف و الدّم و القهر كما انه حاول رصد مختلف الأشكال و الخلفيات التي مهدت لاندلاع العنف و الدمار، و تطور ظاهرة الإرهاب في الوطن خاصّة في ظل نمو الفكر الايديولوجي، فالأديب كغيره من أبناء الشعب قد تأثر بما آلت إليه البلاد ، فالرواية اتخذت من محنة الجزائر بؤرة أحداثها، فالمبدع الجزائري بقلمه عبّر عن رأيه ممّا كان يجري داخل وطنه من دون أن يفكر في أن مجازفته سوف تكلّفه وفي بعض الأحيان تكون حياته هي سيّدة الموقف فهناك الكثير من الروائيين من تراجع عن الكتابة في تلك الفترة بسبب المجازر الدّموية المرعبة.

إلاّ أن هناك من الروائيين من لم تقيدهم أغلال الأزمة فعبروا بكل جرأة و هذا ما كتبه إبراهيم سعدي إذ عبّر عن إحساسه « رغم الإحساس حقًا بلا وجودي عندما نلاحظ الصعوبات واللامقروئية والتضحيات فإن الدّوافع إلى الكتابة و هو دافع داخلي فيما يخصني لا يزال قائمًا، صحيح أنني مررت بأزمة نفسية لم أحسّ فيها فقط بلا جدوى الحياة نفسها، و لست ادري كيف سيكون أمري لو أنني فقدت الدّوافع إلى الكتابة بلا رجعة، لكن لا أخفي عنك اكتب بلا أوهام

[1] : عبد الله شطاح: رواية تحت المجهر، الرواية التسعينية، كتابة المحنة أم محنة الكتابة ، يومية الحوار الجزائرية، د ط ، الجزائر 2009/12/16م.

العظمة أو الشّهرة أو التأثير على المجتمع سوف أظل أكتب لأنه لا بدّ لي من ذلك، و هذا حتى لو قال الناس بأن ما أكتبه مجرّد خربشة »[1].

إن النصوص التي واكبت المأساة الوطنية قد سلك كتابها اتجاهات في رسم هذه الفترة في اتجاههم الأدبي «فمنهم من أعلن تمرده ورفضه لواقع الموت داعيّا إلى استرجاع القيم الإيجابية للمجتمع ...ومن الكتاب من فضل التقوقع حول نفسه... و هم قلّة »[2]، فهكذا واكب الفن الروائي الجزائري هذه المرحلة من تاريخ الجزائر فدعى إلى ضرورة التعامل مع الوضع المزري الجديد«انه أمر مّرده اختلاف التوجهات التي تستند إلى تجربة ذاتية تنشأ من النظر إلى الواقع بطريقة معينة»[3].

لقد ترك العنف الذي مس الجزائر جرحا عميقا في نفوس أبناء الوطن، هذا الأمر جعل النصوص التي ظهرت في هذه الفترة عبارة عن لوحات مكتسحة بالسواد و الدم«فالإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع و قد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها و لا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها و درجة و حشيتها، و عندما يتعلق الأمر بالجزائر فان الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا إذا استغرق مدة غير قصيرة و ارتكب جرائم كبيرة و ارتكبها بفظاعة بلغت أقصى ما بلغته الهمجية»[4] وهذه الهمجية جعلت الكتابة الروائية التي ظهرت في هذه المرحلة تتميز بعدة مواصفات منها: « استخدام لغة تحمل كثيرا من التشاؤم و الإغراق في الغموض و المجهول إضافة

---

[1] : عبد الغني خشة: تجليات الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر1988-1998 رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كليّة الآداب و اللغات، 2000م، ص 18.

[2] : حسان راشدي: الرواية العربية الجزائرية، 1988-2000م ، صيرورات الواقع و مسالك الكتابة الروائية- مقارنة بنيوية تكوينية، رسالة دكتوراه جامعة منتوري قسنطينة 2002-3200ص 375.

[3] : واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، البحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، المكتبة الوطنية للكتابة، د ط 1986م، ص94.

[4] : عامر مخلوف: الرواية و التحولات في الجزائر،منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق،2000م، ص90.

إلى رؤى تعكس الخوف من المستقبل و الرفض للموت المجاني و الشعور بالانتحار المبرمج و إنها مليئة بالفاجعة و رافضة للسياسة و تسعى للكشف عن مؤامرة غير واضحة فضلا عن تشيعها بالأسئلة التي تبقى معلقة إلى حين لأن المبدع لا يقتنع بأجوبة السياسي إنما بممارسات الإنسان »[1]

ولقد كانت قضايا الواقع في هذه المرحلة ممنوعة من المناقشة و محضورة فكل من حاول الحديث عنها سوف يلقي مصيره لكن الروائي الجزائري اتخذ موقفه و عبر عنه، فذهب من خلال نصوصه إلى طرح القضايا و الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال العشرية الدموية، فكانت الكتابة السلاح الوحيد في يد الروائي لمواجهة عدوه و فضحه بذكر جرائمه البشعة، كما أن الكتابة هي المتنفس الوحيد له لكي يتجاوز محنته.لقد حاول الروائي من خلال كتاباته أن يعلن ثورته و تمرده على كل ما كان يحدث في زمن المحنة.

لقد سعت الكتابة التسعينية إلى تعرية هؤلاء المتسببين في المجازر فهي كتابة مشحونة بدماء أبناء المجتمع.« فصارت الرواية الجزائرية المعاصرة مرجعا لمؤرخ الأحداث التي مرت بها الجزائر، حيث تميز المشهد الروائي الجزائري منذ التسعينات من القرن العشرين، بظهور نمط جديد من الكتابة السردية، أنتجته مناخات الفتنة الجزائرية يوسم برواية المحنة و هي رواية تتخذ من المأساة الجزائرية بؤرة سردها.»[2] تتميز رواية المحنة بأنها تكشف عن واقع المجتمع الجزائري و ذلك من خلال شخصياتها التي توضح تلك المعاناة و كل ذلك بتقنيات سردية و لغة بسيطة و خبرة في فن السرد و بناء فني للرواية و ما تحتويه من تداخل في الأزمنة و الانتقال فيما بينها بين الحاضر و الماضي في زمن العشرية.

[1] : عبد الغني خشة: تجليات الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر، 1988-1998م، رسالة ماجستر،منتوري قسنطينة ،2002 م، ص28.

[2] : بن جمعة بوشوشة: جدلية الوطن المنفي و ذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية "شرفات بحر الشمال"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد العاشر، جامعة بسكرة، 2004، ص96.

لقد قام الروائيون بالبحث في الظروف العسيرة و كل منهم صور الزمن على انه انتقال من حدث إلى أخر هذا ما أثار جدلا واسعا حول إعطاء تسمية للرواية «انه حالما نذكر كلمة رواية المحنة أو رواية العنف أو الرواية الاستعجالية أو محكيات الإرهاب، أو الرواية التسعينية، أو الرواية السوداء، يحدث ربط ذهني منطقي بينهما و بين تسعينات الجزائر أو العشرية السوداء أو عشرية الدم ذلك أن هذا النوع من الأدب ارتبط ظهوره و مضمونه بسنوات المحنة الجزائرية إذ اتخذ النص الروائي المأساة الوطنية التي انفجرت على أكثر من صعيد»[1].

و من هنا نستنتج أن الأدب يتأثر بالزمن و يعطيه شكلا خاصا، حيث ينقل إلينا تجربة واقعية، خلال زمن الاستعجالات الدموية التي مرت بها الرواية المعاصرة إلى تجربة إبداعية. «والأدب يمتد عبر الزمن ليتلفظ مادته مما هو راهن و ظرفي لينقل بكل علو التجربة الواقعية إلى تجربة إبداعية يخالطها جانب أوفر من المادة الفنية، فإن ما حدث في جزائر التسعينات لم يكن ليغري بالكتابة بقدر ما كان يجبره عليها، لأنها الملاذ الأمن للمثقف آنذاك،حيث كان من أكثر الرموز استهدافا للتصفية و راحت الكتابة الروائية تواكب العشرية السوداء فولد بذلك نوع روائي جديد تقلده مجموعة من الكتاب بمجموعة من النصوص الروائية و القصصية باللغتين الفرنسية و العربية و التي تصب كلها و تنبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ التّسعينات »[2].

تشترك روايات المحنة التي جسدت المأساة الوطنية في مرجعية واحدة وهي الأزمة التي مرت بها الجزائر، فحاولت هذه الأعمال تفكيك شفرات هذه الأزمة وتحليل مختلف أبعادها وأثارها، خاصّة بعدها الاجتماعي الذي عاش ويلات الظلم و العنف بشتّى أشكاله «و كانت الرواية السوداء لفترة التسعينات، كما يرى إبراهيم سعدي من ناحية التيمات التي تحمل طابع التماثل و

[1] : كربيع نسيمة: أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنّان في رواية "بما تحلم الذئاب " لياسمينة خضرة، مجلّة الأثر العدد 14، جامعة جيجل الجزائر 14 جوان 2012- ص 25.

[2] : المرجع نفسه، ص 25.

التشابه، التي تتميز حول هموم الجماعة وبالتالي الواقع العام للمجتمع و لا يحيل إلى وحدة المعتقد الإيديولوجي الذي عرفت به السبل في هذه الفترة، وإنما إلى وحدة التجربة العامة للمجتمع المتمثلة في تجريب العنف كتجربة جوهرية و شاملة »[1].

فالرواية التسعينية عبرت عن تجارب كثيرة التي عاشها المجتمع الجزائري و عانى منها، «فالأقلام الروائية في فترة التسعينات حملت بين أضلعها رسالة دموية واحتضنت المأساة أقلاما ثائرة على الوضع وباكية لما وصلت إليه الجزائر من خسارة مادّية و بشرية لذلك جاءت الرواية مزيجا من المواضيع، حتى و إن كان في أصلها موضوعا واحدا تعدّدت فقط وجوه صياغته »[2].

ويتضح أن الأعمال الروائية في تلك الفترة، هي أعمال موّحدة في أصلها، فكّل الأقلام كانت معبرة عن وضع واحد و حالة واحدة وهي حالة الجزائر في العشرية السوداء، لكن كل كاتب عبّر بطريقته الخاصة و بأسلوبه الخاص في وصف الأحداث.

«و قد حاولت هذه الأعمال تفكيك الأزمة الجزائرية و تحليل مختلف أبعادها، كالبعد السياسي و الدّيني و الاجتماعي و الثقافي، وبذلك مثل أدب المحنة منعرجا هاما في الكتابة الروائية في الجزائر في العصر الحديث وتباينت هذه الأعمال الإبداعية من حيث الرؤية الفكرية والأدوات الفنية إلا أن مرجعيتها واحدة والحق أن أدب المحنة أي الكتابة عن موضوع المأساة في الرواية الجزائرية مغامرة فيها الكثير من الجرأة لما يشوب الموضوع من غموض وعدم وضوح الرؤية ولذلك فعلى الرغم ممّا كتب حول هذا الموضوع فإنه مازال بحاجة إلى القراءة الموضوعية المتأنية العميقة»[3].

---

[1] : كربيع نسيمة: أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنّان في رواية "بما تحلم الذئاب " لياسمينة خضرة، ص27.

[2] : مازوني فريزة انفتاح الجنس الأدبي و تحولات الكتابة، عند إبراهيم سعدي منشورات مخبر الممارسة اللّغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ط 1 ، 2013 ، ص 25.

[3] : عبد الحميد هيمه: المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية، قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد29، جامعة ورقلة، 2015، ص 224 .

ويتضح من خلال هذا أن الأعمال الإبداعية في التسعينات هي أعمال فيها نوع من الإبهام و هذا ما يتطلب تركيزا كبيرا أثناء قراءة هذه الأعمال لأنها عالجت مواضيع غامضة و معقدّة، «فكتابة المحنة، فهي الوجه الآخر لمحنة الكتابة بما هو مرادف لمحنة العقل و الروح و الثقافة و الوطن، تحمل ظلالاً رومانسية تتقاطع مع محنة الإنسان الوجودية و أسئلته الخالدة»[1]. و هذا ما جعل الكتابة هي الوسيلة الوحيدة للأديب، من خلالها كان يخّرج كل ما بداخله من أجل تجاوز محنته الذاتية، «إن القول براهنيه كتابة المحنة لا يحتاج إلى تأويل عميق، فقد كانت ويلات الإرهاب و أثرها على الأفراد و الجماعات و القرى و المدن تمثل خلفية لمعظم الأحداث الروائية، تتلقفها النّصوص طازجة لتنسج من وحيها، عالمها الروائي»[2].

فالرواية الجزائرية المعاصرة هي بمثابة المرجع المؤرخ لكلّ الأحداث التي مرّ بها الوطن، فمن خلالها عبر الروائيون عن المحنة و الأزمة الوطنية،«و لقد كان التصارع في الغالب بين ما هو سياسي، و ما هو جمالي فني في المتن الروائي الذي سائل المحنة الجزائرية و الحرب الأهلية غير المعلنة و اتخذ منها بؤرة للسرد »[3].

كما تعددت التجارب و تعددت معها وجهات النظر، فظهرت حقائق مختلفة هذا ما أدى إلى تعّدد الإبداعات فمثلا كان الطاهر وطار من الذين كتبوا الرواية التي تهدف إلى شرح الظاهرة الإسلامية و هذا ما وجدناه في رواية "الشمعة و الدّهاليز" « و تجدر الإشارة إلى أن التيار الأصولي يحضر في معظم كتابات "وطار" وبشكل صارخ كما في رواية الزلزال »[4] .

---

[1] : عبد اللّه شطاح: رواية تحت المجهر.....الرواية الجزائرية التسعينية كتابة المحنة أم محنة الكتابة

[2] : المرجع نفسه

[3] : كربيع نسيمة: أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصيّة الفنّان في رواية "بما تحلم الذئاب" لياسمينة خضرة ص 26.

[4] : خلوف عامر أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، المجلد 28، ص 305.

وهناك أدباء آخرون كتبوا عن الإسلاميين الذين اختاروا الموت و الدّمار مثل "واسيني الأعرج" في رواية "سيّدة المقام"، وهناك آخرون من «حاولوا المقاربة بتوفير حدّ كثير من المستوى الجمالي، ربّما تمثلهم أحلام مستغانمي أحسن تمثيل في ذاكرة الجسد »[1] .

ويتضح من خلال هذا اختلاف إيديولوجيات الروائيين، فكّل واحد اتبع إيديولوجية معينة كانت بمثابة موقفه الشخصي، ولكن برغم من هذا الاختلاف إلا أنهم عبّروا وكتبوا عن محنة الجزائر في العشرية السوداء فجلّهم انصبوا حول هذا الموضوع.

و ما تميزت به رواية المحنة هو تصوير الأزمة الجزائرية ببشاعتها و عنفها و دمارها و دماءها «لتنتقل من عنف التقاليد إلى عنف المشهد و الانفعالات، عنف النّص، عنف التخييل، عنف اللّغة، هذا التعدد الدال على تعلق هذه الرواية بالواقع الاجتماعي الذي أنتجها، و كشف عن عنف الجماعات الإسلاموية، و القمع العاري لسلطة عنفيّة كما أن هذا التعدد يعبر عن تنويعات رمزية للمقاومة و مواجهة الإرهاب بالكتابة»[2]. و هذا من اجل التعبير عن الواقع الجزائري و الوضع المأسوي الذي لحق بالمجتمع الجزائري، فكانت اللغة السردية معبرة عن هذا الوضع من خلال مصطلحاتها التي عبرت عن الألم و الحزن فكانت لغة عاطفية تحمل مشاعر و وجدانية نابعة من وجع كبير.

في حين تقابلها لغة خشنة و غاضبة التي عبرت عن رفضها للوضع السائد، و ما ميز هذا النوع من الرواية هو نهايتها الغامضة فلا يقدم لنا الروائي الحل ويتركها مفتوحة للقارئ وبهذا يكون تاركا الأسئلة مطروحة للمتلقي كما لاحظنا تداخل الأجناس الأدبية، فقد أصبحت الرواية

[1] : بشير مفتي، الكتابة الروائية والأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 159، 15، 05، 2001م

[2] : كربيع نسيمة أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بما تحلم الذئاب، ص27.

التي عالجت المحنة الوطنية الوطنية أكثر اتساعا لإستعاب غيرها من الأجناس كتوظيف الشعر داخل العمل الروائي كما فعلت الروائية أحلام مستغانمي في روايتها "فوضى الحواس" و"ذاكرة الجسد".

كما أنها وظفت الموسيقى و فن التصوير الفوتوغرافي في روايتها "عابر سرير" كما أن هناك أعمال كانت بمثابة سيرة ذاتية فنجد الشخصية داخل العمل الروائي تعبر عن شخصية أو موقف الراوي، فيستخدم الراوي تلك الشخصية لصالحه و بالتالي تكون تلك الشخصية هي الراوي بحدّ ذاته.

كما تميزت رواية المحنة « بالتعدد اللّغوي داخل المتن الروائي من الفصحى إلى اللغة العامة، كما لاحظنا حتى استخدام الأمثال الشعبية من أجل إبراز الهويّة الجزائرية وبهذا تكون الرواية متفردة، ولكن بقيت الفصحى هي اللغة الرئيسية، حتى لو استخدمت الفرنسية في بعض الأحيان لكن لم يصل استخدامها إلى درجة المساس بالهوية اللّغوية للرواية»[1].

«كما ركزت الرواية السوداء على إبراز شخصية المثقف الجزائري بمختلف انتماءاته المهنية والإيديولوجية، ليكون الشخصية المركزية داخل العمل السردي، وقد تعود ظاهرة هيمنة المثقف كشخصية محورية في النصوص السردية التسعينية كونه كان يحمل فكرا حداثيا مغايرا للسائد وقتها فاختلفت بذلك نقاط تأثيره و تأثره بالوسط السياسي الديني الجديد، فمن المثقفين من بقي حاملا لرسالة دون أن يهزّه تيار العنف، و منهم من سقط في وحل المحنة فنزل من علياء ثقافته ليتحول إلى ثائر ظالم، مجرم ناقم على الحياة »[2].

[1] : كربيع نسيمة: أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرة، ص28

[2] : نفس المرجع: نفس الصفحة.

ويتضح من خلال هذا أن الأدباء في فترة التسعينات قد اهتموا بموضوع المثقف وجعلوه بطل رواياتهم، فالمثقف كان حاضرا بقوة في رواية المحنة، وربّما كان هذا المثقف يعبر عن الروائي نفسه بما كان يعاني من صعوبات.

كما نلاحظ أن المثقف يكون دائما مستهدفا من قبل الإرهاب بقتله و اغتياله، فكلّ الروايات صوّرت هذا المشهد المتمثل في قتل المثقف، فنجده داخل المتن الروائي يعاني من قلق و خوف و رعب، ينتظر الموت في كل لحظة فمثلاً في رواية "في الجبّة لا أحد" لزهرة ديك في لحظة طرق الباب نجد شخصية سعيد كيف كان يتردّد في فتح الباب فأخذ هذا المشهد وقتا طويلا لما يحتويه من خوف ورعب، كأن هناك صراع بين الموت و الحياة أي بين الحضور و الغياب، ففي لحظة طرق الباب و تردّد سعيد في فتحها كأنه عاش حياته كلّها، فالكتابة التسعينية جاءت بتقنيات فنية وسردية، كما أنها حملت قيمة جمالية، تهدف إلى إيصال صورة المجتمع الجزائري آنذاك.

واللّغة كانت هي الوسيلة لإيصال هذه الصورة باعتبارها من أهم العناصر التي تبنى عليها الرواية، فهي العنصر الفني لسرد وقائع الأحداث التي شهدها الوطن، حيث يرى عبد المالك مرتاض في كتابه "في نظرية الرواية"،«اللغة انسجام وتناغم ونظام،واللّغة الإبداعية نسيج بديع، يبدع و يسحر، ولعلّ الأديب هو الذي يعرف كيف يتلطف على لغته، حتى يجعلها تتوزع على مستويات لكنّ دون أن يشعر قارئه بالاختلال المستوياتي في نسج لغته، وذلك بالإبقاء عليها في مستوى فنّي عام موحد على نحوما»[1].

وما تميزت به اللّغة في الرواية التسعينية هو عنفها وهذا راجع للخوف الذي عاشه المجتمع الجزائري، فاللّغة كانت معبرة عن هذا العنف، و من الوهلة الأولى، و من خلال عتبة النص يتجلى

[1] : عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، دار المعرفة، الكويت، 1998، ص111.

ذلك العنف اللّغوي، فعناوين رواية المحنة كانت ألفاظها مستوحاة من ذلك العنف و الدّمار و القتل و الموت، فمثلا نجد بشير مفتي يستخدم العنف اللغوي من خلال عناوين رواياته كرواية "المراسيم و الجنائز"، «فالتقاء الكلمتين مجموعتين و معرفتين، يشكل خطورة أولى نحو الدخول في المأساة المنتظرة، مأساة الحضور في الجزائر التسعينات واقعيا و ثقافيا »[1]، فالرواية كانت محملة بهذه الألفاظ التي ترعب القارئ، فالروائي لم يرأف على القارئ فعبر عن ذلك العنف بكلّ خشونة لفظيّة، التي ترعب وتهز النّفوس، وهذا ما وجدناه على سبيل المثال في رواية "شمس في علبة" للكاتبة "هوارة سعيدة" التي صوّرت العنف في أبشع صوّره، وكان هذا العنف مهيمن حتى على الأطفال و المقطع الآتي يبين ذلك: « لكن لم أسمع إلاّ قصص الرعب و العنف .....خيالكم يا أطفال خصب، مجنّح، غريب، لكن ما لم أفهمه هو إصراركم على أنّ ما تحكونه لي وقع فعلا في مدينتكم، وليس مجرد حكايات نسجتها أخيلتكم النشطة»[2]، وفي مقطع اخر: «الجثث تنتشر في الساحة وممراتها الأربع»[3]، وفي مقطع اخر تقول: «صامتة وهادئة ذلك الهدوء الذي أصبح يقلق ويخيف أهل المدينة، إذ كثيرا ما تتبعه عواصف تدمر كل شيء »[4] فهذه المقاطع حملت مفردات تدّل على العنف منها: الرعب، الجثث، يقلق، يخيف، يدمر، العنف.

أما رواية "تيميمون" فهي كذلك استخدم فيها رشيد بوجدرة لغة عنيفة و المقطع الآتي يصور ذلك: «اغتيل الأستاذ بن سعيد.....ولقد قتل الرجل ذبحا من طرف عصابة إرهابية

[1] : عامر مخلوف، الرواية والتحولات في الجزائر ص 88.

[2] : سعيدة هوارة: شمس في علبة، موفم للنشر و التوزيع،الجزائر 2001 ص 13 .

[3] : المصدر نفسه، ص 45 .

[4] : المصدر نفسه، ص 130.

مكونة من شباب معتصمين ومدمنين على تدخين الحشيش»[1] ويتجلى العنف في الألفاظ التالية: اغتيل، قتل، ذبحا، عصابة إرهابية، مدمنين.

ويتضح من خلال هذا أنّ الروائي كانت لغته مواكبة للأحداث التي كان يصفها، وكان من الطبيعي استخدام الألفاظ التي توحي بالعنف والقتل، نظرا للأحداث التي عاشتها الجزائر من دمار و مأساة وطنية أثرت على كلّ أبناء الوطن، ولهذا استخدم الأدباء لغة فيها نوع من الرعب والخوف، ويرى الكاتب عامر مخلوف بأنه وجد في "المراسيم و الجنائر" «بلغتها الجميلة، شاهدة على واقع، وشاهدة على حضور ذات معدية ومتميزة في رؤيتها، وعذابها وفي تعاملها مع الشخصيات التي تتحرك على الرقعة الروائية، وهي تجسد في وجه من وجوهها، محنة المثقف وتترجم أيضا ثقافة الوطن الممحون»[2].

وهكذا نستنتج أن الكتابة الروائية في العشرية السوداء واكبت ما كان يجري من أحداث، فصوّرت الواقع الجزائري المزري بمأساته ومحنه، والأديب كغيره من أبناء الوطن تأثر بما كان يحصل وعبر عن ذلك بقلمه فكان سلاحه الوحيد لإخراج كل ما يختلج في داخله، والتعبير عن كل القضايا التي مسّت البلد، ولهذا كانت أعمالهم أعمالا متفردة أدّت إلى إخراج أدبا يحمل في طياته واقع الجزائر آنذاك،كما حملت أعمالهم بصمة تاريخية. إن أدب المحنة الجزائرية، يعتبر منعطفا بارزًا في الأدب الجزائري المعاصر الذي حاول فك شفرات كثيرة، فرغم خطورة تلك المرحلة إلّا أن الأدباء عبروا عن تلك المرحلة بكل جرأة فعبر لغة القلم استطاعوا إنتاج أدب متفرد.

➢ المبحث الثالث: سمات التجريب في رواية المحنة الجزائرية

[1] : رشيد بوجدرة، تيميمون، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، ط02 ، 2002 ص 30.

[2] : عامر مخلوف الرواية و التحولات في الجزائر ص 87.

عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة تحولاّ كبيرا حيث تجاوزت قواعد الفن الروائي الكلاسيكي، من خلال تجريب أشكال فنية جديدة، تتلائم مع الظروف و التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري، و التي سمحت للأديب بخوض مغامرة جديدة في الكتابة الروائية،«تعد الرواية أكثر الأجناس المعبرة عن الواقع و مشاكله المتداخلة بين اليومي و المعيش، وإذا كان طغيان المتخيل على النّص الروائي، يحول ضد دون اعتبار هذا الأخير، مجرد انعكاس للواقع، فإن الكثير من خصائصها مرتبطة بهذا الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد و الثراء، لهذا نجد أن من بين أهم خصائص سرديات المحنة الجزائرية هو انخراطها في مذهب التجريب كأسلوب للكتابة الروائية على اعتبار أن التجريب المستمر هو ما يهب الكتابة الروائية شرعيتها واستمراريتا»[1].

و بهذا حققت الرواية الجزائرية المعاصرة تطورا واضحا، من حيث مستوى مواضيعها وتقنياتها، فنقلت الواقع بتفاصيله و تفاعلت معه، و ابتعدت عن تقاليد الرواية الكلاسيكية، وهكذا نستنتج ان الكتابة الروائية الجزائرية عرفت التجريب تزامنا مع ميلاد رواية المحنة. « إن ممارسة التجريب على صعيد أشكال الكتابة الروائية، و ارتياد مجال المسكوت عنه، جعل الخطاب الروائي يسعى إلى تفكيك الواقع و الإنسان، و إنتاج قيمة جمالية حولهما، مما أدى إلى إبداع شكل روائي جديد بعناصره و وبنائه و تفاعلاته الذاتية و الموضوعية و فلسفته و قيمه الفنية و الجمالية»[2].

ونظرا للتحولات التي عرفتها الجزائر في مرحلة التسعينات و الظروف التي عانى منها المجتمع الجزائري، شهدت هذه المرحلة «مجموعة من النصوص الروائية المكتوبة باللغة العربية و التي تتحدث عن المصائر الفردية و الجماعية . و في ظل الأوضاع المفجعة التي تعيشها الجزائر منذ بداية

[1] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة «الرواية الجزائرية، من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب» مجلّة الآداب، جامعة الملك سعود، قسم اللّغة العربية وآدابها، الرياض،2015،13،03،1436هـ، ص من 41 إلى 42.

[2] : هويدا صالح: صورة المثقف في الرواية الجديدة، الطرائق السردية، المقدمة بقلم: صلاح فضل، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط01 , ص14، نقلا من مذكرة دكتوراه: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية، إعداد ملكية ضاوي تحت إشراف الدكتوره نزيهة زاغر،كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة باتنة.

تدفق العنف المسلح الفئات الاجتماعية، المختلفة، و ضد رموزا الدولة الجزائرية»[1]، فهذه النصوص الروائية كانت عبارة عن أساليب إخبارية، فالروائي كأنه كان يقوم بتصوير الأحداث و الوقائع اليومية وينقلها للقارئ كما كانت موجودة في ذلك الواقع وكأننا أمام خطاب صحفي، فالروائي ابتعد عن الجانب الفني الخيالي الذي يعطي للنّص قيمة فنية و جمالية، فالكتاب كان همه الوحيد هو نقل الواقع المزري الذي سيطر على عقل الروائي. فذلك العنف والدّمار والقتل هو الذي كان يشغل بال الروائي.

ولذلك كانت هذه النّصوص تركز على المضمون أكثر من الشكل ، فالروائي أثرت عليه تلك المحنة كغيره من أبناء الوطن ولذلك كان همّه الوحيد هو التعبير عمّا كان يحدث إلاّ أنّنا لاحظنا نصوصًا روائية ذات قيمة فنية جمالية وبلغة شعرية سامية وراقية ، وحول هذه النّصوص تعالت الأصوات النقدية الرافضة إلى هذا النوع من الكتابة حيث أطلقت عليها اسم الكتابة الاستعجالية، أو الأدب الاستعجالي داعين إلى التريث في معالجة المحنة الجزائرية من خلال إستعاب أبعادها ومن بين هذه الأصوات الرافضة نجد "مرزاق بقطاش" الذي قال عن بعض النّصوص الروائية أنذاك: «وإذا بي أقرأ كتابات مستعجلة يظن أصحابها أنهم يعالجون صلب الموضوع، والمعروف في تاريخ الرواية العالمية أنّ الإنجازات الروائية لا تتحقق إلاّ بعد هدوء البراكين الاجتماعية»[2].

وفي المقابل نجد من أيّد تلك النّصوص الروائية مثل الناقدة الكويتية " *سعاد العتري" التي قالت «أنّه ثمة مصطلحا يصف حالة الرّواية والأدب الجزائري وهو مصطلح الأدب الاستعجالي

[1] : محمد داود: الأدباء الشباب و العنف في الوقت الراهن، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية وهران، العدد10-جانفي، أفريل،2000، ص31

[2] : نوارة لحرش: ما الذي تتركه الأزمة في الرواية، حوار صحفي مع مجموعة من الكتاب والروائيين، جريدة النصر، 2010/07/05 (الصفحة الثقافية).

* : أستاذة النقد الأدبي الحديث في الكويت، عضو تحرير مجلة إبداعية عالمية.

الذي يواكب الحدث من دون اختمار للتجربة وتشكيل جيّد، من هنا فإنّنا لا ندين الأدباء والرّوائيين بقدر ما نصف حالة، ونقيّم وضعية معينة»[1]، ومن هنا يتضح أنّ هناك من الأصوات من رفضت هذه النصوص وأطلقوا عليها بتسمية الأدب الاستعجالي ،وهناك من الأصوات من ايّدت هذه النصوص، التي نجحت في تصوير الراهن الجزائري وبتقنيات فنية جديدة ،متجاوزة بذلك النمط التقليدي المعتاد.

فهذه النصوص وفقت في«خلخلة الميثاق السردي السائد و ما ينبني عليه من أنساق مألوفة»[2] «إن أهم ملمح في رواية المحنة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، هو نزوعها المستمر إلى التجريب، و ذلك بوضع الكتابة، الروائية ذاتها موضع تساؤل لان التساؤل عن الكتابة ،هو بحث عن كتابة جديدة مغايرة، قادرة على الاستجابة لعمق تعقد الواقع الذي لا تستطيع أن تعبر عنه الكتابة الروائية التقليدية، لهذا تقصدت بعض النصوص الروائية التجريب،ليس من اجل التجريب و فقط،ولكن من اجل الوصول إلى لغة تستطيع سرد الواقع المتخيل، بأساليب سرديّة مختلفة ومتنوعة»[3].

فالرواية الجزائرية التي عالجت موضوع المحنة الوطنية، كان روادها يبحثون عن المغاير، أي أنهم أرادو إبداعا جديدا فحاولوا الخروج عن المألوف،«فالبحث هو الذي يحفر الكاتب الروائي إلى تجاوز الأشكال المستهلكة و العميقة، و إلى تجريب أدوات جديدة و خلق أشكال حية»[4].

---

[1] : سعاد العتري: "المعرفي فاق الفنّي حضورا في الرواية الجزائرية لفترة العشرية الحمراء حوار منشور بجريدة الأمة العربية، 2010/01/12 (الصفحة الثقافية)

[2] : بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص55.

[3] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة:«الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة الى كتابة التجريب»ص52.

[4] : عزّ الدّين المدني: الأدب التجريبي الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1972،ص27

«و التجريب كإستراتيجية كتابية عند الروائي الجزائري، يهدف الى تعرية و اقع هش، وكيان مهتز، كما كان جزءاً من التحول الذي مسّ نظام القيم المتوارثة، و دعوة إلى التعدد والانفتاح على نصوص متشظية مشبعة بدلالات العنف و الفوضى التغير،حيث تصبح الكتابة"انكتابا ذاتيا"، و هروبا من النماذج المقبولة، الى ابداع يسائل الكتابة،التي تسائل بدورها مرجعيتها»[1].

مثلما نجده في رواية "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي فعندما تعلن الذات الساردة و المتمثلة في شخصية "حياة" عندما تقول:«كيف لي بعد الآن أن أكون الرواية والروائية لقصة هي قصتي والروائي لا يروي فقط، لا يستطيع أن يروي فقط، إنه يزّور أيضًا، بل إنّه يزّور فقط ويلبس الحقيقة ثوبا لائقًا من الكلام، ولذا فإن كل روائي يشبه أكاذيبه، تماما كما يشبه كل امرئ بيته. وصلت إلى هذه الفكرة وأنا أتذكر ما قرأته عن الكاتب الأرجنتيني بورخيس الذي أصبح أعمى تدريجيا، والذي كان عندما يصل إلى مكان، يطلب من مرافقه، أن يصف له لون الأريكة وشكل الطاولة فقط، أما الباقي فكان بالنسبة إليه"مجرّد أدب"، أي بإمكانه أن يؤثثه في عتمة.....كيفما شاء»[2]، فهنا يدرك القارئ أن شخصية "حياة"، تعيش في الرواية أحداثا متخيلة، قامت بنقلها من العالم الخيالي، إلى العالم الواقعي الروائي، وذلك ضمن علاقة عكسية تطرح إشكالية العلاقة بين الواقع الروائي و الواقع الخيالي و علاقتهما بالواقع الحقيقي و تطرح كذلك العلاقة بين الكاتب و عمله الإبداعي، وهذا الأمر يعتبر خاصية من خصائص التجريب التي ظهرت مع رواية المحنة التي شهدت خصائص فنيّة و سردية تختلف تماما عن خصائص الرواية الكلاسيكية. و من أهم الخصائص التجريبية التي تميزت بها رواية المحنة مايلي:

1. توظيف الأجناس الأدبية و غير الأدبية في رواية المحنة الجزائرية:

[1] : عبد الحّق عمور بلعابد: سرديات المحنة«الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب» ص 52.

[2] : أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، داب الأداب، بيروت، ط1998،5،ص95.

«وقد لجأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية إلى توظيف العديد من الأجناس الأدبية، و غير الأدبية ضمن بنيتها التكوينية، كالمقاطع الشعرية و النّصوص التاريخية، الدينية، و القصاصات الصحفية، للتعبير خاصة عن الواقع الأليم، باعتبار أن تلك الأجناس، خاصة خارج الأدبية، أشكال تنبئ، أو مبنية على الواقع الحقيقي، خاصة، القصاصات، والتعاليق الصحفية، وهذا يظهر في العديد من روايات التسعينات التي وظفت القصاصات الصحفية»[1]. ومن هنا يتضح أن رواية المحنة قد وظفت العديد من الخطابات و الأجناس سواء أدبية أو غير الأدبية، حيث يرى"ميخائيل باختين" «إن أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية »[2].

فالرواية باعتبارها أكبر الأجناس، فهي الجنس الأدبي الوحيد القادر على ضم أكبر عدد من تلك الخطابات «فإن اعتماد الروائي على توظيف قصاصات و تعاليق الصحف،يربط الرواية أكثر بالواقع،وبقضاياه السياسية، الاجتماعية، والفكرية، خاصة في جانبها المأساوي، وتغذي هذه القصاصات متخيل النّص الروائي، ويعزز فكرة المأساة، و الاضطهاد، و القمع الذي يتحكم في الشخصية الروائية، و الذي يجد مرجعيته في الواقع الحقيقي»[3].

ومن الأجناس الأدبية التي دخلت ضمن بنية الروايات في تلك الفترة، هي توظيف الروائيين للنصوص الشعرية، كما نجده في رواية "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي، حيث وظفت أبياتا ومقاطع شعرية، حيث كتبت بيت شعري لشاعر "خليل حاوي":« في زمن الحروب غير المعلنة،تلك العبثية الموجعة التي اختصرها خليل حاوي في ذلك البيت الجميل: كل ما أعرفه أني أموت مضغة تافهة في جوفا حوت»[4].

---

[1] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة «الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب». ص 45

[2] : ميخائيل باختين : الخطاب الروائي ،ترجمة محمد برادة ، رؤية للنشر و التوزيع ، مصر ،2009 ،ط 1، ص 78

[3] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة «الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب» ص55

[4] : أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، ص 34

فهذه المقاطع توحي بالحزن و الألم و الوجع الكبير ولذا وظفتها الروائية لأنها تتلائم مع أجواء و أحداث الرواية التي كانت تصف ذلك الحزن الذي خيّم على نفوس الجزائريين بين آنذاك. و إلى جانب أحلام مستغانمي نجد كذلك "فضيلة الفاروق" المعروفة بلغتها الشعرية فمثلا في روايتها "مزاج مراهقة" قد لجأت الروائية إلى توظيف مقاطع شعرية، فاستخدمت اللغة الشعرية إلى جانب السرد و الحوار، والمقطع الآتي يوضح ذلك:

«مدّ يديك

اعبث بأثوابي

و ارم حدائقك الخرفية

في عمق اهدابي

.....

احجز لي أنفاسي

علّمني سرّ الخلق

وسر الموت

و سر البعث

وقدرة اللّه

مدّ يديك»[1].

[1] : فضيلة الفاروق: مزاج مراهقة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 02،2007، ص 227.

وتستمر هذه المقاطع الشعرية على امتداد ثلاث صفحات كلّها أبياتا شعرية دون أن يفصلها سرد روائي.

كما استخدم الروائيون الأغنية الشعبية داخل المتن الروائي، حيث نجد واسيني الأعرج، استخدمها في روايته "سيّدة المقام" حيث وظف أغنية "عبد المجيد مسكود"، "الجزائر يا العاصمة". حيث اندمجت الأغنية في الرواية وأصبحت عنصرا من عناصر البناء الروائي حيث دخل الكاتب في حوار مع هذه الأغنية و صاحبها التي كانت رثاء للمدينة. ونلاحظ ان صاحب الأغنية أصبح شخصية من شخصيات الرواية، فهذه الأغنية عبرت عن حنين الكاتب إلى هذه المدينة فهي مرتبطة بالحنين إلى الوطن و الحرية، حيث جاء في الرواية: « حركت زرّ الراديو في السيارة، اسمع، اسمع، مسكود مسكين المجنون العظيم الذي سرقو منه مدينته الجميلة.

وين زنجي بابا سالم

سنجاق-طبول و محارم

وغواشي عليه ملايم

ماذا بنان ذوك السنين

غابت النيّة يا فاهم

راح ذالك الوقت الزّين»[1].

ويواصل الكاتب بعدها في عملية سرد الأحداث في عدّة صفحات و بعدها يرجع إلى توظيف هذه الأغنية مجدّدا:

[1] : واسيني الاعرج: سيّدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،02، 1997،ص164

«من كل جهة جاك الماشي

زحف الريف جاب غاشي

وين القفاطين و المجبود

عاد طرّاز لحرير مفقود

و بينهم خرّازين الجلود

وبينهم النّقاشين؟؟

وين صانع سروج العود

وين الرّسامين؟؟

قولوا لي ياسمعين(....)"

من يسمعك يا عبد المجيد؟ كلّ الآذان يا ابن أمي صارت موصدة مثل الأبواب الصدئة، أصابها الصّمغ، و أغلقت بالشمع الأحمر، مديتك سرقت في لحظة غفوة و هي تُبَادُ مثل البنايات التي فقدت مبرّرات وجودها»[1].

و في موقع آخر من الرواية يواصل واسيني الأعرج في توظيفه للأغنية و هذه المرة و وظف أغنية ولفي مريم" لشيخ الغفور "الندرومي"،فإذا كانت الأغنية الأولى ر ثاءًا للمدينة فهذه الأغنية رثاءًا لمريم التي قتلتها رصاصة طائشة أثناء أحداث أكتوبر، و إذا كانت الأغنية الأولى شعبية، فالثانية هي أغنية أندلسية «ولكنني تركت جسدي تتزلق عبر الشوارع التي بدأت برك الماء تتجمع

[1] : واسيني الاعرج: سيّدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 174

فيها و استرق السمع إلى صوت "غفّور" الذي كان ينبعث من البار المقهى المقابل للمستشفى، بشكل محزن وجنائزي.....

أنا مجفاك كاويتني

أولفي مريم،

كيف الحال يالباهية !

بذيك النّظرة الباشرة

حيتني من ثَمْ

أولفي مريم»[1].

و بعد ذلك قام الكاتب بسد الأحداث واصل عملية السرد و في نهاية الرواية رجع إلى توظيف هذه الأغنية التي ختم بها روايته، فرواية سيدة المقام هي تصوير للمحنة الجزائرية ولمحنة المثقف خاصة،فهي ذات رؤية فجائعية.

ومن الأجناس الأخرى التي دخلت على المتن الروائي هي القصاصات الصحفية، ففي رواية"ذاكرة الماء" استخدم "واسيني الأعرج"، الأخبار الصحفية المتخيلة رغم أنها أحداث حقيقية واقعية إلا انه يقوم بصباغتها بأسلوب خاص الذي جاء على شكل أسلوب صحفي «اغتيل البارحة في بيته الفنان، و الشاعر و الإنسان يوسف، لقد وجد مقطعا على فراشه و في يده قلم رصاص

[1] : المصدر نفسه، ص 220.

يبدو أنه كان وسيلته الوحيدة للمقاومة، على جسده لوحة المعدومين لفرنسيين غويا التي أعاد رسمها. جريدة الخبر(.....)199»[1].

لقد عرفت رواية المحنة الجزائرية تغيرا كبيرا، وأهم ما ميّزها هو تداخل الأجناس الأدبية والغير الأدبية في المتن الروائي، فأصبحنا أمام إبداع مختلط و متداخل الأجناس، «فإن توظيف الأجناس التعبيرية، سواء الأدبية، أو خارج أدبية في رواية المحنة الجزائرية، كان له دور في إغناء الرواية، من ناحية الشكل و المضمون، فهذه الأجناس تدخل إلى الرواية، و هي تحمل معها لغتها الخاصة، و أساليبها التعبيرية، ممّا يؤدي إلى تحقيق تنوع و تعدد لغوي و خطابي و دلالي»[2].

لقد حققت رواية المحنة انفتاحا واسعا على مختلف الأجناس و هذا ما زادها بعدًا حقيقيا و بعدًا جماليًا، كما أن تداخل الأجناس في متن رواية المحنة أمر طبيعي، لأن النصوص التي كتبت في تلك الفترة كانت تعالج موضوع المحنة الوطنيّة بمآثرها و سلبيتها على المجتمع و على نفوس الأفراد الذين كانوا في حالة نفسية مزرية، ولذا وجد الكاتب نفسه مضطر إلى توظيف واستخدام عدّة أجناس نظرًا لإختلاف و تعقد الواقع الذي شهدته الجزائر أنذاك.

2. توظيف الأسطورة في رواية المحنة:

لقد جاءت رواية المحنة مثقلة و محملة بالدلالات و الرموز و الإيماءات، حيث صورت لنا ذلك الواقع المتأزم بطريقة أسطورية خيالية، وهذا ما رأيناه في رواية "سرادق الحلم و الفجيعة" لعز الدّين جلاوجي فالجانب الأسطوري واضح من عتبة النص الذي يحمل ثنائية عكسية (الخير، الشر، القبح، الجمال، الموت، و الحياة، فالفجيعة مرتبطة زمنيا بالواقع المأساوي الذي ألت إليه

[1] : واسيني الأعرج: ذاكرة الماء، محنة الجنون العاري، ورد لطباعة و النشر و التوزيع، سورية، دمشق، 2008، ط04 ، ص134.

[2] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة «الرواية الجزائرية من تجريب، الكتابة إلى كتابة التجريب» ص60.

المدينة و أبطاله، الغراب و الفئران و الثعاليب و النسور، أما الحلم هو دليل أن هناك شيء مفتقد هو بحث عن حياة أفضل)[1]، فمثلا عندما تحدث الكاتب عن ذلك الطائر الذي دخل على المدينة قام سرد هذا الحدث بشكل عجائبي، أسطوري يشبه حكايات ألف ليلة و ليلة «و فجأة رأيت الأنظار تشرئب إلى الأعلى و رأيت الغراب يتمتم بكلمات وقد تسارعت شفتاه في حين لزم الآخرون الصمت.....ورنوت مع الجميع.....إنه هو كان يحلّق في الجوّ يهبط حتى يكاد يلامس الرؤوس ثم يرتفع فلا نكاد نراه، طائر غريب لم أراه في حياتي.....له جناحان ممتدان طويلان كجناحي الوطواط.....و له رأس كالخنزير.....و له ذنب كالحمار .....و مخلب كالنسر.....و يغطيه ريش أسود كثيف»[2]. ففي هذه الفقرة اعتمد الكاتب على الجانب الأسطوري العجائبي في وصف الطائر بطريقة مبهمة مكثفة بالإيحاءات.

هذه الرواية في مجملها عبارة عن أسطورة حيث جعل الشخصيات من عالم الحيوان و هذا ما يذكرنا" بكليلة و دمنة " التي كان أبطالها من عالم الحيوان، و الغريب في الأمر أن جلاوجي ذهب إلى استحضار الحيوانات القذرة مثل الفأر و هذا ما يدّل على القبح، أما المكان الذي مثله بالمدينة لم يكن مجرد فضاء أو حيّز جغرافي بل كانت دلالته أبعد من ذلك.

و عموما فإن استخدام الأسطورة و توظيفها داخل العمل الروائي، كان أمرا شائعا في النصوص الروائية التسعينية التي لجأت إلى الاستعانة بالرّموز في سرد الأحداث، نظرا لطبيعتها المتأزمة و المعقدة، كما أن لجوء الكاتب إلى توظيف الأسطورة في تلك الفترة التي شهدت الخوف و الرعب و القتل أمر طبيعي، فالكاتب كان يقوم بمعالجة الأوضاع بطريقة غير مباشرة، نظرا لما

[1] : بوشعيب الساوري المغربي: التخييل الأسطوري للراهن في رواية سرادق الحلم و الفجيعة، ضمن دراسات نقدية في روايات عز الدين جلاوجي، ص69.(بتصرف)

[2] : عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، دار المنتهى لطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط01، 2000م، ص من 100إلى 101

عرفته الجزائر من قتل و قطع لرؤوس وخوف ورعب اثر على نفوس الجزائريين و هذا ما جعل الروائي يلجأ إلى توظيف الرموز و إيصال رسالته بطريقة غير مباشرة، تتطلب من القارئ أن يقف أمام العمل الروائي بكل تفاصيله و أجزاءه حتى يصل إلى فك شفراته الغامضة فغموض الرواية التسعينية راجع إلى غموض الواقع الجزائري آنذاك .

3. تذويب الكتابة في رواية المحنة:

إن ما تميزت به رواية المحنة الجزائرية هو سيطرة الأنا الفردية بأحزانها وآلامها، بعدما بدأت الجزائر تتوجه نحو النظام الرأسمالي المبني على الذاتية، حتى أصبحنا أمام إبداع لا نعرف إن هو رواية،أم سيرة ذاتية، فبعدما ما كانت الرواية تتكلم باسم الجماعة أصبحت تتكلم باسم الأنا الفردية، فالرواية الكلاسيكية كانت تهيمن عليها الأنا الجماعية و كانت تهتم بالقضايا الاجتماعية و الجماعية، لكن مع بداية التسعينات عرفت الرواية الجزائرية تحولا كبيرا، فشهدنا طغيان الأنا الفردية على الكتابة الروائية.

فأصبحت الرواية تعبر عن ألام و أحزان و حالات نفسية مضطربة تعاني من قلق وخوف، ولذا امتازت رواية المحنة بتذويب الكتابة، «أي حرص الروائي على إضفاء سمات ذاتية على كتابته ذلك من خلال ربط النص بالحياة و التجربة الشخصيتين،وجعل صوت الذات الكاتبة حاضرة بين الأصوات الروائية لتمييز محتوى النص على الخطابات الأخرى التي تعطي الأسبقية للقيم و الأفكار الغيرية والحرص على تذويب الكتابة يقترن بتوفير رؤية للعالم،تحمل بصمات الذات الكاتبة»[1]، وبهذا شكلت الذات الفردية أساس النص الروائي، و قد توجهت اغلب روايات المحنة نحو التركيز على الذات، فالوضع المزري الذي مرت به الجزائر شكل لذا الجزائريين جرحا عميقا و الأديب كغيره من أبناء الوطن تأثر بذلك الوضع و لذا عبر في نصوصه عن هذا الجرح الذي كان يعاني

[1] : محمد برادة،الرواية العربية ورهان التجديد ،دار الصدى،دبي،مايو 2011،ط1، ص67

منه، و لهذا كان يسرد الأحداث بضمير الأنا، و في بعض النصوص يوحي الكاتب باستخدام ضمير الأنا،ولكن القارئ يكتشف من خلال القراءة العميقة بان الكاتب يتحدث بضمير الأنا.

«و يظهر التركيز على الأنا الفردية من خلال اللغة التي أصبحت لغة حلمية، وتأملية، تصوغ الحوار الداخلي المعبّر عن الاصطدام الداخلي للذات، و حالات الإنشار التي تعيشها مختلف شخصيات الأعمال الروائية، أو لغة حنينية تستدعي الماضي لتسائله، أو تصنّفه أو تحتمي به، كما تميز السرد بكونه سردا حميما، يلون الخارج بلون الذات، فتصبح الأشياء فاقدة كلّ خصوصية، فالحميمة تعلي من صوت الذات، التي تتبنى الواقع الخارجي، كما تتمظهر الحميمية، و الذاتية في السرد، وذلك من خلال التركيز على الذات كبؤرة و كمصهر تتجمع فيهما الأفعال و الأزمنة و الأحداث الخارجية، و المقروء لينصهر الجميع و يفقد كل خصوصياته و يذوب في الكل»[1]

و في رواية "ذاكرة الماء" "لواسيني الأعرج"، نلاحظ ان شخصية الأستاذ الجامعي تشبه شخصية الروائي، أو أنه بعض ملامحه، و كذلك في رواية "شرفات بحر الشمال" ففي هذه الرواية كانت واضحة الذات الساردة و التي مثلها بشخصية "ياسين" الذي يعتبر أنه الكاتب نفسه و أكبر دليل على ذلك أن شخصية "ياسين" تشترك مع الروائي في الانتماء إلى نفس المنطقة و هي قرية من غرب الوطن، فرغم أن الكاتب كان يستظل بشخصية ياسين إلاّ أن القارئ يدرك أن "ياسين" ما هو إلّا الروائي واسيني الأعرج. و يظهر ذلك من خلال هذه المقولة التي جاءت في الرواية: « عذرا لكل الذين يرون شبها لهم في أحداث هذه القصّة، فليس ذلك إلاّ من قبيل الحبّ ، الحّب فقط و ليس المصادقة»[2].

[1] : عبد الحق عمور بلعابد سرديات المحنة (الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب) ص69

[2] : واسيني الاعرج: شرفات بحر الشمال، منشورات الفضاء الجزائري 2001م، ط1، ص06

« إن السرد بضمير الأنا يمثل ظاهرة أسلوبية مهيمنة في رواية المحنة الجزائرية، حيث يتجانب أنا السيرة الذاتية للكاتب، مع أنا الواقع المتخيل في كثير من المقاطع السردية التخيلية، التي يطغى فيها ضمير الأنا ليحيل إلى شخص أنطولوجي نفسي، تتقاسمه لحظتان، لحظة الواقعية أو الحدث، و لحظة الكتابة و الإبداع، إذ أن السيرة الذاتية في الرواية هي نقل ،و معبر،و إنتقال من ميدان التجربة الفردية إلى ميدان الكتابة»[1].

4. استخدام اللغة الشعرية في رواية المحنة:

لقد حققت رواية المحنة خرقا لغويا إبداعيا، حيث تميزت لغتها بالإيحاء و الإيجاز، بعيدة عن الخطابات المباشرة التي تمتاز بالوضوح، فقد استطاعت رواية المحنة الجزائرية أن تنتج لغة جمالية و إيحائية تسمو إلى قمة الإبداع و الخلق، حيث تجاوزت الوظيفة الإخبارية إلى الوظيفة الفنيّة الجمالية التي تسحر القارئ، و هذا ما شهدناه في رواية "سرادق الحلم و الفجيعة" "لعز دين جلاوجي":

« الغربة ملح أجاج.....

وحدي أنا و المدينة.....

ثكلت الهوى.....ثكلت السكينة

لا ورد ينمو هاهنا.....لا قمر .....لا حبيبة.....

لا و لا شوق.....و لا غيث.....و لا حلم أمين.....

لا حب يبلسم من حبة القلب المعنى»[2].

[1] : عبد الحق عمور بلعابد سريات المحنة ،(الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة إلى كتابة التجريب)، ص 71.

[2] : عزّ الذين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة ص 08.

و في روايته الأخرى "الرّماد الذي غسل الماء"، نلاحظ قمة الإبداع اللّغوي و شعرية سردية متميزة، فمن بداية النص تتجلى شعرية اللّغة و رقيها، حتى الإهداء جاء بشكل شعري يهزّ النفوس:

« الواقفون على شفير الجمر

القابضون على سبب الدهر

الآتون و في المآقي انبجاس

وشمس و أقمار و أفراس

الطالعون من فرث المئاسي

و من دم الضحايا

و دمع الرواسي»[1].

فبعد هذا الإهداء، يبدأ الكاتب بسرد الأحداث بلغة راقية تسمو إلى قمة الإبداع و الخلق يقول:

«حبيبي:

و أنا أتدحرج في مهاوي الأيام.....أنكت ضفائر العمر الحزين.....تتحداني براثن اللّيالي الكالحات.....لم أعد أشعر بدفء الحب يحضن قلبي الصغير المرتعش..... ما عدت أتنشق شذاه يدغدغ الفرح في جوانحي.....بحثت عنك كثيرا.....قلبت حتى ابتسامة الأطفال و تجاعيد الكبار.....و حلم الأبكار ينتظرون عاشقا على شرفات العمر.....طاردتك خلف

[1] : عز الدين جلاوجي: الرّماد الذي غسل الماء، دار المنتهى لطّباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005، ط 01، ص 03.

زقزقات العصافير الرمادية، و بين ثنايا الصّبا يهب حزينا منعكسا على مدينتنا البائسة ساءلت عنك البراءة في وجوه الصغار و الدموع المضطربة على شرفات العيون.....»[1].

5. اللّهجات و اللّغات في رواية المحنة:

و من ملامح التجريب التي شهدتها في رواية المحنة الجزائرية، هو عدم اعتمادها على اللغة العربية الفصحى، و إنّما تجاوزت هذه اللغة كلغة رسمية، مركزية، فأصبح النص الروائي خليط متنوّع من اللّغات و اللّهجات،« و أصبحت شخوص الرواية تتحدث بصوتها، لا بصوت المؤلف أو السادر المهيمن، و هذا ما سمح بظهور أساليب تعبيرية مختلفة، و متنوعة، تمنح من المألوف، والمتداول، و المعيش اليومي، و من الشعبي، والثراثي، والعالمي، والنخبوي، والفصيح والمعاصر، لتبني الرواية واقعها المتخيل يختلف عن الواقعية الساذجة المبسطة للواقع»[2].

لقد عمد الروائي الجزائر في فترة التسعينات إلى توظيف أكثر من لغة، خاصة اللغة الفرنسية التي جاءت مجاورة للغة العربية في رواية المحنة الجزائرية، فوجود اللغة الفرنسية في المتن الروائي، دليل على خليفة تاريخية وثقافية وسياسية، تركها المستعمر الفرنسي في المجتمع الجزائري، فرغم استقلال الجزائر، إلاّ أن أثر الاستعمار مازال متواجد داخل المجتمع، و توظيف اللغة الفرنسية يوحي إلى محنة أخرى و هي "محنة الهوية" ، و لكن رغم ذلك ظلّت اللغة الفرنسية في المرتبة الثانية،« و التعدد اللغوي في الرواية يحيل على تعددية بشرية، وتعددية اجتماعية، و تعدد في الوعي الإنساني كذلك، فكأن التعدد اللّغوي الذي يسّم الرواية يعيد تركيب المخزون اللغوي الاجتماعي رابطا بذلك بين الواقع المتخيل و الواقع المرجعي، أو الواقع الواقعي،كما أن التنوع اللّغوي يؤدي إلى تنوع في مستويات التعبير وأساليبه، داخل النص الروائي، ويقدم تشخيصا لغويا كاشفا عن

[1] : عز الدين جلاوجي: الرّماد الذي غسل الماء، ص04.

[2] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة للرواية الجزائرية (من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب) ص 60

وجود أكثر من وعي متناقض ومختلف داخل الرواية»[1]، وهذا التعدد اللّغوي يبرز في معظم إبداعات رواية المحنة الجزائرية، وهذا ما أعطاها طابعا خاصًا،« فإن النصوص الروائية الجديدة تبرز أكثر قاموس الكلام المقتبس لألفاظ أجنبية وتعبيرات متصلة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية المعوّضة لوسائط الاتصال التقليدية»[2].

ونأخذ على سبيل المثال رواية فضيلة فاروق "مزاج مراهقة" التي وظفت فيها اللغة الفرنسية:

« مدّ يده إلى الراديو، وكبس زر تشغيله، فانبعث صوت ميراي ماتيو:

Chaque matin je t'aime un peu fort

(كل صباح، أحبك أكثر قليلا من ذي قبل)

قال: أحبها حين تغني فقط.

ارتفع صوتها مرة أخرى:

est-ue-que tu m'écoutes encore..... ALLO

(ألو، هل مازلت تسمعني)

Mais je vis de ton sourire

(إني أعيش بابتسامتك)»[3].

لقد زاوجت الروائية بين اللغة العربية و اللغة الفرنسية فهذه الرواية محملة باللغة الفرنسية، فالروائية كانت تكتب الكلمة بالعربية و نترجمها بالفرنسية مثلا: «بالضبط justement، و لهذه

[1] : عبد الحق عمور بلعابد: سرديات المحنة: الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة الى كتابة التجريب ص 61

[2] : محمد برادة: الرواية العربية و رهان التجديد ص 55.

[3] : فضيلة فاروق: مزاج مراهقة ص 199-198

العودة إلى الأصل فضيلة، كان (قراج) و المفروض يخيلو، قراج، خير ويخليو الرجل tranquille(مرتاح)»[1]

كما نلاحظ في هذه الرواية استخدام اللغة العامة:

«أو.....مليون.....بزاف أصحبتي»[2]

و في مقطع أخر:

«أختي تبقاو غير تخربشو، هدي خدمة يهدروا عليها ناس عاقلين»[3]

كما نلاحظ هذه التعددية اللغوية عند الكاتب واسيني الاعرج فمثلا في رواية "ذاكرة الماء" وظف اللغة الفرنسية:

«[4] c'est peutetre l'angoisse»

[5] « tu vois !il n'est pas empoisonne »

[6] « hourrah ! je suis très heureux monsieur. Merci »

كما استخدم في الحوار اللغة العامة:

« بالله خلطها تصفا خايف تتخلط و متصفاش »[1]

---

[1] : المصدر نفسه، ص 209

[2] : المصدر نفسه، ص 210.

[3] : المصدر نفسه، ص 210-211.

[4] : الأعرج واسيني: ذاكرة الماء ، ص 22

[5] : الأعرج واسيني: ذاكرة الماء، ص 44.

[6] : المصدر نفسه، ص 46.

فواسيني الأعرج يستخدم اللغة العامية بكثرة في رواياته، و نلاحظ ذلك في روايته "ذاكرة الماء" :

«هاديك راسها غليظ ،وحد النهار تجيبها في روحها»[2]

«أوف يا عمّي، واش قادرين يديروا»[3]. كما نجد في روايته "حارسة الظلال" يستخدم اللّغة الاسبانية

كما أن الدرجة الجزائرية كانت حاضرة في روايات المحنة كالدارجة الشاوية و هذا ما وجدناه في رواية "مزاج مراهقة" لفضيلة فاروق:

« أصرّت العجوز على الجلوس أرضا في الرواق أمام بائع التذاكر، فقط طار صوابه و قال لها: يا نانا إكر سوكر و إراج يوذان ادع دان، يا جدة، اهضي من الرواق و اتركي الناس تمر، لم تقبل، أمسكت برأسها وهي تجلس القرفضاء وقالت له:

إش هوء لاذي إينياس إييقيل

(أيا أبنائي، قولوا له بأن يتركني و شأني)»[4].

« فعلى مستوى الإبداع الروائي، في روايات المحنة، يبرز التعدد اللّغوي، على كامل مساحة الرواية، ويعطيها نكتها الخاصة، فتتجاوز اللغة السردية، مع اللغة الشعرية المكثفة و تتقاطع اللغة الفصيحة مع اللغة العامية، و تتداخل أحيانا أخرى مع اللغات الأجنبية»[5].

---

[1] : المصدر نفسه، ص 65.

[2] : المصدر نفسه، ص 59.

[3] : المصدر نفسه، ص 64.

[4] : فصيلة فاروق: مزاج مراهقة، ص 27.

[5] : عبد الحق عموربلعابد: سرديات المحنة(الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب ص61

6. شيوع ظاهرة التناص في رواية المحنة :

إن التناص ليس مقتصرا على الشعر، بل هو خاصية يشترك فيها جميع أنواع الأجناس الأدبية،والتناص هو تعانق بين النصوص، أي بين نص أصلي و نص آخر فرعي، فالنص الفرعي يعتمد على النص الأصلي، و هكذا تصبح النصوص الروائية لها علاقات مع نصوص أخرى،«إن المصطلح الذي استعمل في البداية لرصد مختلف العلاقات بين النصوص هو التناص.....فالتناص مثلا كممارسة موجود في أي نص قديم أو حديث وجد أمس أو سيجد غدًا»[1].

ومن خصائص رواية المحنة و مميزها هو شيوع ظاهرة التناص داخل المتن الروائي و نجده حتى في عتبة النص مثلما فعلت الكاتبة"زهرة ديك" في روايتها في "الجبة لأحد" فالقارئ بمجرد قراءة العنوان يدرك أن هذه العبارة "في الجبة لا احد"، هي عبارة مألوفة، فالعنوان يحيلنا إلى خلفية تراثية، تاريخية، صوفية، دينية، أدبية، لقد استدعت "زهرة ديك"، شخصية الحلاج المشهور بعبارته"ما في الجبة غير الله"، والتي كانت سبب قتله لان مجتمعه لم يفهم قصد الحلاج، اوان المجتمع تعمد عدم فهم ما كان يقصده الحلاج، فنحن من البداية أمام جريمة، لكن نلاحظ العنوان مقلوب، فالحلاّج قال إن الجبة فيها الله و كان قصده إن في الجبة ما أراد الله أي حاله كما يحب الله و لكن "زهرة الديك"، قالت لأحد في الجبة، و هكذا خصصت، فالجبة موجودة في الأصل و الفرع، فالتناص سمة من سمات التجريب التي عرفتها رواية المحنة في بحثها على أفق يميزها عن الرواية الكلاسيكية،فتجاوزت كل ما هو تقليدي؛وأنتجت نّصا حداثيا فيه خلق و إبداع.

7. استخدام الاحالات و الهوامش في رواية المحنة الجزائرية :

إن ما يلفت الانتباه في رواية المحنة هو استخدام الكاتب هوامش و إحالات، إما بغرض الشرح و تقديم تفسيرات لتوضيح الرؤية للقارئ و إزالة الغموض، أو تقديم تعريفات كتعرف

[1] : سعد يقطين: الرواية و التراث السردي(من اجل وعي جديد بالتراث)، المركز العربي،المغرب،1992م،دط،ص 19

شخصية، أو تعريف مصطلح غامض،ولكن في بعض الروايات نلاحظ استخدام الإحالات بكثرة، حتى تكاد تتساوى مع المتن الروائي و في بعض الأحيان تكاد أن تتجاوزه، و هذا يعتبر ظاهرة جديدة لم تعرفها الرواية الكلاسيكية من قبل، فمثلا نجد الكاتب "عز الدين جلاوجي" يقوم باستخدام الحواشي بكثرة في رواياته كرواية "الرماد الذي غسل الماء" حيث عمد إلى تسعين حاشية، فمثلا في ما ذكره في حاشية واحد و ثمانون(81):

«المحرمة: الخمار يوضع على الرأس، و تسمى كذلك لأنها تحرم المرأة فلا يظهر شعرها»[1]

«القمح المخزون تحت الأرض، يشرب الماء فيتغير لونه و طعمه يستخرج و يؤكل كما هو»[2]

8. تقسيم الرواية إلى أجزاء و فصول :

لقد عرفت رواية المحنة الجزائرية ثورة جذرية على كل ماهو تقليدي، و قامت بخطوة جريئة، حيث أنتجت نصا روائيا مغايرا في شكله، فشكل رواية المحنة غير شكل الرواية الكلاسيكية، حيث أصبحت تقسم الرواية إلى أجزاء أو فصول، كل جزء يتكون من فقرة أو فقرات لها عناوينها الخاصة، وهي أجزاء غير متساوية تمشي بنظام الفكرة، و كل جزء هو استكمال للجزء الذي قبله، و هكذا أصبح شكل الرواية مغايرا عما كان عليه في السابق، ومن الروائيين الذين عمدوا إلى هذه التقنية نجد الروائي "واسيني الأعرج" فمثلا في روايته "ذاكرة الماء"، افتتح الكاتب هذه الرواية بإشكال و هل للماء ذاكرة ؟ و بعدها قسم الرواية إلى قسمين:

القسم الأول تحت عنوان: الوردة والسيف

[1] : عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء ،ص 261، الحاشية 81

[2] : عز الدين جلاوجي: حُوبَهْ و رحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار المنتهي للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،مكتبة طريق العلم www.boKS4arabcom ص61

القسم الثاني تحت عنوان: الخطوة و الأصوات .و نفس الأمر نجده في رواية" سيدة المقام"، حيث لجا الكاتب إلى هذه التقنية فنلاحظ عناوين لفقرات حيث افتتح روايته بعنوان"مكاشفات المكان"و استمر بهذه التقنية حتى نهاية الرواية،فالمتن الروائي كله كان معنون و مقسم إلى أجزاء و هذه بعض العناوين التي عَنْوَنَ بها هذه الأجزاء:

ظلال المدينة ـــ فتنة البربرية ـــ حنين الطفولة.

محنة الاغتصاب ـــ الجمعة الحزينة ،وغيرها من العناوين التي عنون بها أجزاء هذه الرواية و أنهاها بجزء معنون: بنهايات المطاف.

فبعد الوقوف على أهم سمات التجريب التي عرفتها رواية المحنة ،نستنتج أن النص الروائي في التسعينات عرف تحولا كبيرا، لأنه تحرر من قواعد الفن الروائي الكلاسيكي . إن رواية المحنة سعت إلى تجريب أشكال فنية جديدة ، تتغذى من تلك التحولات العميقة التي عرفتها الجزائر، هذا ما سمح للأدباء بخوض مغامرة التجريب بكل جرأة وشجاعة ،فقاموا بعملية التجديد التي تلائمت مع الاوضاع التي عرفتها الجزائر ، وبهذا حققت الرواية الجزائرية المعاصرة تطورا فنيا.

لقد بذا لنا النص الروائي الجزائري خلال سنوات التسعينات التي تعرف عند المبدعين بسنوات المحنة ، ملتحما بالخطاب الاجتماعي ـــ الثقافي العام ، ومرتبطا بالمتخيل ، المتدرج الذاتي الحالم ، إلى الإيديولوجي والتاريخي الملتبس،فمن خلال سرد التاريخ الفردي ـــ الذاتي ،تتجسد أزمة الكينونة ،المتطلعة إلى التأريخ للتجربة الذاتية ،أو الخلاص من واقع مازم .بمعنى أن سؤال الهوية أصبح في هذه المرحلة متصلا باليومي ، في زمن ابتذل فيه الموت ،حتى صار كل شيء غاليا إلّا الإنسان الجزائري ،الذي أصبح مهددا في كينونته ووجوده في مجتمع يعيش مرحلة تبدل وتغير عنيف ، لذلك فقد سعت رواية المحنة إلى البحث عن أساليب تعبيرية ،ولغة تعكس ،تقاطع الوعي الأدبي بالوعي الاجتماعي ، ولا شك أن ما تراكم من نصوص في هذه المرحلة ،فقد اتخذت

التجريب مسلكا للتعبير عن عبثية الواقع المعيش ، ورتابته ، وقمع النظام السلطوي ،وتهديدات الجماعات المسلحة ، والموت المنتظر عند انعطاف الطريق[1].

ومن هنا نستنتج أن الرواية الجزائرية المعاصرة استطاعت أن تحقق ثراء فنيا متميزا لأنها تمكنت من تأسيس تجربة إبداعية جديدة ،لها خصوصيتها التي تميزها عن الروايات السابقة .

[1] : عبد الحق عمور بلعابد ،سرديات المحنة (الرواية الجزائرية ،من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب) من ص 73 إلى ص 74

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لرواية "راس المحنة 0=1+1" لعز الدين جلاوجي

المبحث الأول: عالم الرواية

1. عرض المدونة:

رواية "راس المحنة 1+1=0" لعز الدّين جلاوجي هي رواية حديثة صدرت عن منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، يتوسطها عنوان ذات حجم عادي متوسط ، على غلافها رسمت لوحة زيتية تعبر عن أشكال الخراب و الدّمار تعلوها عملية حسابية خاطئة و غير معقولة لا يتقبلها العقل 1+1=0، وهذا ما يجعل القارئ في حيرة ودهشة لهذه العملية اللاّمنطقية، كما نلاحظ أن غلاف الرواية غلب عليه اللون الأسود .هذه الرواية تتكون من 221 صفحة، لكن شكلها لا يشبهه شكل الروايات الكلاسيكية، فهي مقسمة إلى أجزاء أو فصول، لكنها مرتبطة فيها بينها في الأفكار، فالموضوع يصب نحو اتجاه واحد.

افتتح عزالدّين جلاوجي روايته بإهدائين،إهداء أول فيه حركة نسويه « إليك.....أيتها العين....ع»[1]، أما الإهداء الثاني فكان ذو حركة ذكرية،« إليك.....أيها العين...ع»[2]، إلاّ أن الملاحظ كلاّ الإهدائين فيهما حركة وطنية، وبعد هذا الإهداء يبدأ عز الدّين جلاوجي هذه الرواية «بفاتحة من الأبيات الشعرية»للأديب "عمر الخيّام"و"الأديب أدونيس" وهي تقنية جديدة،تسمى بحسن الاستهلال، وليس غريب أن نجدها في هذا النّص فعز الدّين جلاوجي معروف بالتجريب في جميع رواياتة.

الرواية مقسمة إلى سبعة أقسام، كل جزء يحمل عنوانًا ذات دلالة آو دلالات كثيرة، بدأها ب: "شرفة أولى" وبعدها "الخروج إلى التابوت"، ثم "البحث عن العش " ويليها "قراصنة

---

[1] : عز الدّين جلاوجي: "رأس المحنة" 1+1=0، دار المنتهى لطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، مكتبة طريق العلم، www.books4amb.com ، ص 05.

[2] : المصدر نفسه، ص 07.

الأحلام"، "الحب وعفونة الرصاص"، "الخروج من التابوت"، وفي النهاية يختم روايته بشرفة أخيرة، هذه العناوين كانت منسجمة مع الموضوع او المواضيع التي عالجها الروائي، كما انها تحمل دلالات غامضة (الخروج من التابوت)، كما أنها توحي بوضع مزري "البحث عن العش"، كما أنها تدّل على الرعب والخوف والدّمار "الحب وعفونة الرصاص"، كما أنها متناقضة "الحب،الرصاص".

فهذه الرواية «تعدّ من الأعمال الروائية التي استطاعت أن تعالج موضوع المحنة الوطنية بلغة شاعرية وأدوات فنيّة جمالية، مبتعدة عن النقل"الفوتوغرافي" السطحي للأحداث، فالرواية في حقيقتها تخييل ينطلق من منظور، من رؤية، ويحمل منظورًا أو رؤية، فالناس والزمان والمكان في الرواية ليسو نسخة عما في الواقع الموضوعي، ثمة درجة من الإنزياح في الرواية يحكم طبيعتها كمتخيل، كفن، كآلية »[1]، حيث قال عنها الدكتور حسين فيلالي: « راس المحنة رؤية ذكية لمحنة الجزائر جيئت بأسلوب فني يمزج بين تكثيف القصة القصيرة وتحليل الرواية وتصوير وتشخيص المسرح وبساطة قصة الأطفال، وليس هذا غريب على كاتب جرب الأجناس الأدبية الأربعة. راس المحنة إضافة نوعية إلى الرواية العربية وتحول جاد لمسار الروائي عز الدّين جلاوجي»[2].

وتعتبر هذه الرواية من الأعمال الأدبية التي تمكنت من وضع بصمتها على الساحة الأدبية، حيث وضعت يدها على الجرح الذي عاشه المجتمع الجزائري، و قدمت لنا قراءة صحيحة بكل شجاعة وجرأة للراهن المرعب الذي عرفته الجزائر في التسعينات، فهذه الرواية كشفت لنا كل ما هو مستور. فنقلت لنا واقع الجزائر آنذاك بكلّ تفاصيله وفي جميع مجالاته، حيث أنها عالجت

[1] : هيمة عبد الحميد: سيمائية الشخصية النسوية في راس المحنة لعز الدّين جلاوجي، الملتقى الوطني الرابع السيماء والنّص الأدبي" جامعة قاصدي مرباح ورقلة ص119

[2] : عز الدّين جلاوجي: عزّ الدّين جلاوجي-ديوان العرب ص 07.

جميع المجالات والقضايا التي عانى منها الجزائري، فهي رواية ذات طابع سياسي، تاريخي، اجتماعي، ديني، ثقافي، فجميع هذه المجالات عالجها الروائي، فشخصيات هذه الرواية كانوا يعانون من محنة في جميع المجالات فعلى الصعيد السياسي معروف ما حدث في الجزائر في التسعينات من أزمة سياسية كانت لها اثار على جميع مجالات الحياة، فظهور الجماعات المسلحة أو الجماعات الإسلامية التي كانت لها عقيدة خاصة بها تتناقض مع ديننا الإسلامي الذي يدعو إلى السلم ويحرّم القتل، فحين نجد أن هذه الجماعات التي تدّعي الإسلام تقتل بل تذبح الناس وتقطع رؤوسهم وهنا نلمس أن هناك تغير في مفهوم الدين، فهذا القتل والخوف والرعب كان له اثارًا نفسية على الجزائريين، فالشخصيات كلّها تعاني من قلق واضطرابات، حيث نلاحظ كثرة المونولوج الداخلي عند الشخصيات التي كانت تتسائل أن سبب هذا الوضع، وكانت في حيرة لما يشهده هذا الواقع الذي يهان فيه الشريف ويعزّ فيه من لا أخلاق له وهو حال "صالح الرصاصة" المجاهد الذي ساهم في إستقلال الجزائر لكن بعد الإستقلال وجد نفسه يعيش على هامش الحياة فحين أمحمد املّمد إبن الحركي أصبح بعد الإستقلال ذا مكانة ونفوذ وجاه، ويدعي أنه يفعل الخير وأصبح رئيسا للبلدية "لعنة الله على حرية يذل فيها صانعوها و يعز فيها اعداؤها"[1]، فنجد هذه الشخصية ليس لها مستوى لكنها في المركز ،في حين منير المثقف يعيش على حافة الحياة ،وهنانلمس محنة المثقف ، اما من الناحية الاجتماعية،عالجت الرواية ازمة السكن في الجزء المعنون، بالبحث عن العش"فصالح لم يجد مسكن يليق به،كما نجد ابنه عبد الرحيم يعاني من مشكل البطالة، حتى وجد نفسه مظطرا للإلتحاق بصفوف الشرطة وبعدها قتلته الجماعة المسلحة بسبب مهنته.

الرواية عبرت عن محنة الوطن الجزائري من محنة سياسية ودينية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية و لهذا قلت انها نقلت لنا الواقع الجزائري بكّل تفاصيله و تعقيداته.

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 84.

و لعل اهم ماتميزت به هذه الرواية هو نزوعها نحو التجريب و تكسير الأشكال التقليدية للرواية، «كما نجدها تكشف لنا عن وعي ادبي وفني عميق يهدف إلى تشخيص معرفة فنية للراهن، انها بحق نموذج ناضج لأدب المحنة، يدهش القارئ باكتمال إبداعه و تماسك و حداثة و قدرته على تجديد وعي الإنسان بالواقع بغية الوصول إلى عمق التجربة بطريقة فنية تجمع عناصر الواقع و تكشف عن التناقصات الكامنة فيه.

فالأزمة التي عاشتها الجزائر عند جلاوجي متعددة الابعاد متنوعة الاسباب »[1]، انها رواية لمجتمع يبحث عن سبل كثيرة للنجاة و منفذ يخلصه من المحنة التي اتعبته نفسيا و جسديا، حيث بدأ الكاتب روايته بطرح تساؤلات و عرض تناقضات انّى للحب ان يشرق و سحائب الدم مازالت تهدر حوله....؟ كيف يمكن للقلوب ان تعشق و تقتل في الان ذاته....؟ من يقدر على ارتداء فستان الفرح في ازقة الجماجم....؟ ما معنى ان نحمل وردة و سكين...؟[2].

فنلاحظ من خلال هذه التساؤلات التي طرحهاالكاتب كان ينهيها بنقاط، اي انه كان يترك الجواب للقارئ .ففي رواية "راس المحنة" 1+1=0 "، حضرت فيها أكثر من 42شخصية و كل شخصية لها أبعادها و كلها شخصيات أساسية رئيسية أعطاها الكاتب الحق في التعبير عن محنتها و رغبتها.

لقد استطاع الكاتب عز الدين جلاوجي ان يمتلك كل الأدوات الأدبية، فنجد في روايته لغة جميلة، فنية، كما ان اللغة كانت مناسبة مع الموضوع، فكل شخصية كانت لها لغة خاصة بها، فالمثقف له لغته، و الغير المثقف كان يتحدث بلغة عامية، و لهذا تميزت لغة "راس المحنة"

[1] : هيمة عبد الحميد: سيمائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي ص 120

[2] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0 ص11

بالتعدد. حيث نجد لغة الحب، لغة السياية، لغة المثقف كما نلاحظ اللغة العنيفة التي تدل على الوضع المزري، كما نجد في هذه الرواية توظيف الكاتب للتراث الجزائري من امثال و حكم :

"لا يعجبك نوار الدفلى في الواد داير ظلايل و لايغريك زين الطفلة حتى اتشوف الفعايل "[1] .

كما انه وظف نصوص من التراث العربي و منها نجد شعر المتنبي و شعر الأمير عبد القادر و نصوص البشير الإبراهيمي اما على مستوى الزمكنية نلاحظ ان هذه الرواية مكانيا تمتد بين الجزائر العاصمة و حارة الحفرة نواحي سطيف لكن هذه الرقعة الجغرافية التي دارت فيها أحداث الرواية كانت تعبر عن كل التراب الوطني الجزائري.اما زمنيا تمتد منذ الثورة التحريرية إلى زمن العشرية السوداء.

ان رواية "راس المحنة1+1=0" هي حالة إبداعية متفردّة حيث عملت على« إبراز الواقع الجزائري بدرجة تعكس رؤية الأديب الخاصة للمأساة لان الكاتب لا يكتفي عن حد العرض و التصوير، بل يتجاوز هذا الإطار إلى التغيير الذي يعني إعطاء الرأي وإبراز الموقف بشكل يتم عن إدراك عميق لابعاد المأساة الوطنية المتعددة الجوانب. ومن هنا تقترب "راس المحنة" من الرواية الشمولية التي تسعى من خلال عرض حياة شخصية معينة او فئة من الشخصيات إلى الامساك بفترة تاريخية خاصة»[2].

2. ملخص رواية راس المحنة 1+1=0 لعز الدين جلاوجي:

تدور أحداث رواية "راس المحنة 1+1=0"، حول الوضع الجزائري في فترة التسعينات، فهي تتكون من سبعة اجزاء،يبدأها الكاتب بجزء معنون بشرفة اولى و هو عبارة عن مدخل للرواية بين فيه الكاتب الوضع المزري الذي تعيشه حارة الحفرة و الاستغلال الذي يعاني منه

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0 ص 92

[2] : هيمة عبد الحميد: سيمائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي ص 129.

سكانها بسبب السلطة القهرية المفروضة عليهم، و بعدها ياتي جزء معنون بالخروج من التابوت، و هنا تبدا الرواية في سرد احداثها، فتنطلق الاحداث من قرية حيث يسكن صالح الرصاصة الذي يعد شخصية مركزية، و عائلته المكونة من زوجته عرجونة بنت اعمر، و ابنه عبد الرحيم و ابنته الجازية و ابنته اخرى تدعي هجيرة، فالقرية تمثل كل شيء لعمي صالح الرصاصة حيث يحمل فيها ذكرياته في حرب التحرير الوطني، فالريف بالنسبة له يمثل الصفاء و النقاء عكس المدينة التي يراها معقدة، فصالح الرصاصة هو شخصية محبة للماضي و يحن اليه فدائما كان يعود بذاكرته إلى ذلك الماضي بماساته و الامه، فدائما كان يعود بذاكرته إلى ذلك الماضي ، فكان يقارن بين الماضي والحاضر ، فالماضي بالنسبة له احسن من الحاضر رغم ان الماضي كان قاسي فبه حرب و قتال، لكنه كان احسن من الحاضر و منجزاته، لتتطور احداث الرواية في بقية الاجزاء مع ظهور صديقية الربيع و السعيد و دعوهم له بضرورة التغيير و الانتقال للعيش في المدينة و بعد اقناعه بالانتقال إلى المدينة، انتقل و استقر بها، حيث ساعدوه في حصوله على بيت ووظيفة و اصبح عاملا بالمشفى .

هكذا اصبح حارصا في المستشفى في الاول بدت الاوضاع مستقرة و لكن سرعان ما توترت الاوضاع و بدات تتعقد الامور حيث لاحظ صالح الرصاصة تغيرا في الحياة، و هكذا كانت المدينة نقطة محركة للاحداث ،صالح الرصاصة كان سعيد في عمله كحارس في المشفى وكان يراها خدمة للإنسانية ولكن هذه السعادة والتوازن لم يكتمل بسبب استفزازات مدير المشفى له وكل عمّال المشفى الذين كانوا يعملون بدون أخلاق وأمانة، حيث لاحظ صالح فسادًا كبيرا لم يستطيع السكوت عليه، لكن لا أحد كان يسمعه واصبحوا يلقبونه بصالح المغبون أو المجنون، فهكذا تحول عمّي صالح الرصاصة في زمن الإستعمارإلى صالح المغبون والمجنون بعد الاستقلال ولذا نجد دائما هذه الشخصية تتحاور مع نفسها وتتساءل عن الوضع الذي تعيشه الجزائر بعد الإستقلال فهو كان يظنّ ان بعد الإستقلال سيعيش حياة كريمة لكنّه تفاجئ إذ

وجد نفسه يعيش حياة مهمشة، اي من مركز زمن الإحتلال إلى هامش زمن الإستقلال ولهذا كان دائما مرتبط بذلك الماضي ورجاله المخلصين وحائرا في ذلك الحاضر الذي يذّل الشرفاء ويمجد أعداء الوطن، وبعد هذا طرد صالح من عمله لتعود الأوضاع إلى الإضطراب والقلق وتأزم في الأحداث، حيث فقد حتى بيته، لكن هذا الإنفصال حقق له اتصال دائما في حارة أخرى حيث وجد فيها سكانا كان يعرفهم زمن الثورة وهكذا يعود الاستقرار لصالح الرصاصة وعائلته في استقرارهم في حارة "الحفرة" وهنا تظهر شخصيات أخرى من جيرانه "كمنير" الشاب المثقف وجدته "علجية"، التي يكنّ لها الحبّ والإحترام، غير أن هذا الإستقرار في الأحداث سرعان ما ينهار مع ظهور شخصية مضادّة لصالح بصفة "خاصة وحارة الحفرة بصفة عامة وهي شخصية" "امحمد، املمد"، رئيس البلدية إبن الحركي، والده كان حركي فقتله الثوار.(عمي صالح وأصدقائه)، وبظهور هذه الشخصية التي كانت تحمل حقدًا وتريد إنتقاما تأزمت الاحداث فظهور هذه الشخصية الضدّية التي كانت مضادّة لصالح وعائلته، خاصة ابنه عبد الرحيم وابنته الجازية، فعبد الرحيم كان يعاني من مشكل البطالة ولذا اضطّر للإنظمام إلى صفوف الشرطة بعدما عمل في الحمّام، لكن بسبب مهنته قتله الإرهاب، أما الجازية فهي شخصية رئيسية، كانت قوية وشجاعة كانت تعمل ممرضة ولديها خطيب اسمه "ذياب" كان عاملا في الصحافة يكتب مقالات عن الفساد والإرهاب ولذا كان دائما يتعرض للاغتيالات، شخصية ذياب والجازية مثلا ثنائي مهم في الرواية رغم انهما كان يعانان من فراق فذياب كان يعمل في جريدة الشروق في الجزائر العاصمة، اما الجازية فكانت تعيش في سطيف، اما منير صديق ذياب وجار الجازية كذلك مثل أزمة المثقف ومحنته، فهو شاب مثقف كثير المطالعة ذات أخلاق، لكنه يعيش حياة مهمشة، حتى وجد نفسه في السجن بدون أي سبب، فهذه الشخصيات كلّها كانت تعاني من هذه الشخصية المضادّة، "امحمد،املمد"، الذي كان يملك سلطة وجاه ويدعى أنه يفعل الخير، فحارة الحفرة جميعهم كانوا يعانون من هذه الشخصية،

حتى عبلة الحلوة الفتاة الجميلة والصغيرة اختطافها واغتصابها، وهكذا تستمر تأزم الأوضاع من خلال كثرة القتل والخوف والرعب من قبل الجماعات الإرهابية ومن جهة السلطة وظلمها للضعفاء و المثقفين والشرفاء، ليجد عمي صالح نفسه في مجتمع ظالم قاسي فهو المجاهد الذي ضحى من أجل وطنه ليعيش حياة كريمة، لكن وجد نفسه في حافة الحياة، إبنه قتله الإرهاب، زوجته مريضة و لم يجد المال لعلاجها، ابنته الجازية تعاني من صعوبات.

إن حارة الحفرة مثلت لنا معاناة الشعب الجزائري إبان العشرية السوداء فهي محنة إجتماعية، ثقافية، سياسية، دينية، حتى الدّين الإسلامي أصبح له مفهوما مغايرا يتناقض مع الدين الإسلامي الذي جاء به الرسول صلى الله علية وسلم، حيث كثر في المجتمع الفتاوي، كلّ يفتي في الدّين ويحرّم ويحلّل فتغيرت كل مبادئ وقيم الدّين الإسلامي، فالإرهاب الذي يدعي الدّين نجده يقتل الأبرياء ويذبّحهم، كذلك نجد محنة اجتماعية متمثلة في البطالة والبحث عن السكن والفقر، وهكذا تظهر الطبقة الإجتماعية في المجتمع:

طبقة غنيّة: أصحابها ظالمون لا أخلاق لهم، همّهم المال فقط وبأي طريقة، لكنهم في المركز وطبقة فقيرة: أصحابها شرفاء، مثقفين، لكنّهم في الهامش فكل هذه الأوضاع خلقت لذا الشخصيات توترا نفسيا لهذا الوضع المزري، وهكذا تتصاعد وتتفاقم الصعوبات لذا حارة الحفرة، وهذا ما لم يقدر عليه عمي صالح فقرر أن يرجع إلى القرية، حيث يوجد الشهداء فقد عاد إلى بيته في القرية وقرر أن يكمل حياته هناك من خلال ذكرياته وحنينه إلى الماضي ورجاله المخلصين الذي يحبون الوطن وماتوا من اجله، وهكذا ترك صالح الرصاصة عائلته وحارته.

لكن حارة الحفرة لم تستسلم وظلّت صامدة في وجه أعدائها، حيث تمرد سكان حارة الحفرة على ذلك الوضع القاسي لمعيشتهم، وكان منير دائما يهدئهم ويحثهم على حلّ المشاكل بطريق سلمية عن طريق لغة الحوار، لكن أمحمد،غلق كل أبواب الحوار معهم وكان يساومهم بماله وسلطته وهو الفخ الذي وقع فيه بعض سكان حارة الحفرة كالعجوز "عكة"،و "عزيز"

ربيبها الذي ساعده في إختطاف "عبلة الحلوة"، ما جعل سكان حارة الحفرة ب يغيرون تلك الطرق السلمية، معلنون ثورتهم ضدّ السلطة التي همشتهم، ووقفت ضدّ مشارعهم وأحلامهم وأمالهم، هذا ما جعل السكان يلجأون إلى إستعمال العنف بعد ما حاولوا جاهدين حلّ المشاكل بطرق سلمية وقانونية، لكن السلطة و المتمثلة في امحمد املمد غلق كل أبواب الحوار وهكذا لجأوا إلى العنف حيثوا قرروا قتلا امحمد، ليقضوا على الفساد، لتبدأ المواجهة بمجرد إنطلاق الحفل الساهر الذي نظمه امحمد املمد وبمجرد إنطلاق الموسيقى بدأ يرقص وهو مخمور، تقدمت منه الجازية ابنة صالح الرصاصة وكلّها إصرار للقضاء على رمز الفساد، فيقول الراوي واصفا ذلك المشهد «اجري يا الجازية.....مزّقي فستان الحداد.....ألبسي فستان الفرح.....يلمع،الخنجر في يمينك.....في ذراعيك النحيفة.....تزداد سرعتك.....لا بدّ من قتله حارة الحفرة تنتظرك أيتها الفحلة.....يا سلالة الفحول.....إقتليه.....إغسلي العار.....لا يغسل العار إلاّ الدماء»[1] لينمّ موقف الجازية في اصرارها على التحدي والإعتزاز بالذات تمهيدا للإرتباط بالاخر، لأن الاخر هو ذياب رمز العدل والحق الذي انتظرته طويلا.

لتستغل الفرصة المناسبة في تنفيد قرارها، وبالفعل قتلت الجازية امحمداملمد رمز الفساد والظلم، فالروائي إختار شخصية الجازية للقضاء على الفساد والجازية هي رمز لوطننا الجزائر، أي أن الجزائر هي التي تنتقم لأبناءها المظلومين، وهكذا تجاوزت حارة الحفرة هذه العقبة وتتحول في الأخير إلى حارة الربوة، وهكذا كانت نهاية الرواية بزوال الشرّ والفساد، كما أنّها كانت نهاية فيها أمل لغد جديد، لجيل جديد وهذا الأمل مثله الروائي بولادة وهبة زوجة المرحوم عبد الرحيم الذي قتله الإرهاب وترك زوجته حامل، وفي النهاية ولدت وهيبة طفل سموه بسالم تبركا بجدهم الشهيد "سالم العلواني" أب صالح الرصاصة، فولادة وهيبة تمثل لنا

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0. ص 217-218

استمرار الحياة وترمز لبناء مجتمع صالح، فالنهاية كلّها تفاءل بمستقبل زاهر يصنعه جيل صالح من سلالة الأبطال والشهداء.

المبحث الثاني:دراسة البّنية الفنّية والسردية لرواية راس المحنة 0=1+1

1. تحليل العنوان: رأس المحنة 1+1 =0

إن العنوان هو الناطق الرسمي لأي عمل روائي، فهو بمثابة التأشيرة الذي يسمح بالعبور إلى عالم الرواية، واكتشاف أسرارها وفكّ شفراتها. فالعنوان هو أول شيء يبادر إلى ذهن القارئ. «وقد كشف النقد المعاصر منذ ثلاثة عقود عن حقل نقدي استراتيجي جديد يتصل اتصالا وثيقا بعلوم النّص، ألا وهو علم العنوان(أو العنونة)»[1]

فالعنوان هو مفتاح سحري لولوج عالم النّص وعليه فإن «العنوان نص مختزل ومكثف ومختصر، إنّه نظام دلالي رامز له بنيته الدلالية السطحية وبنيته الدلالية وبنيته الدلالية العميقة، مثل النّص»[2]

ولهذا أصبح الأدباء يبدعون في اختيار العناوين الجيّدة والغامضة وغير معقولة من أجل لفت عناية القارئ، لأن القارئ المعاصر أصبح يهتم بتلك العناوي الغامضة التي توحي بتأزم الواقع الذي يعيش فيه، والتي تدفعه إلى التساؤل عن سرّ إنتقائها من طرف الكاتب فالمبدع الحقيقي هو الذي يعرف كيفية تركيب عنوان عمله، فإذا كان النّص هو المدلول فإن العنوان الدال وعليه«العلاقة بين النّص والعنوان هي علاقة مؤسسة، ولكن هذه العلاقة المنطقية قد تأخذ

[1] : الطيّب بودربالة: قراءة في "كتاب سيماء العنوان" للدكتور بسام قطوس، الملتقى الوطني الثاني "السيمياء والنّص الأدبي" قسم الأدب العربي، جامعة باتنة، 2002م، ص23.

[2] : المرجع نفسه، ص25.

أشكالا وتجليات لا حصر لها، لأنها لعبة العنوان هي لعبة اللّغة بالتالي لعبة الحرية والحياة والمطلق»[1].

ولهذا يحرص الروائيون على إنتقاء أجود العناوين وصياغتها بأسلوب محكم من أجل جذب القارئ وهو حال الروائية الجزائرية "أحلام مستغانمي" مثلا في روايتها "نسيان com"، أدخلت فيه لعبة التقنية وجعلته ملغم، منفتح على مخاتلة لغوية، واضافت مع هذا العنوان "يحضر بيعه للرجال"، فكانت حركة ذكية من الروائية لجلب القراء، خاصة الرجال فبمجرد قراءة هذا العنوان، يصرّ القارئ على قراءة هذه الرواية حتى يعرف ما هو الشيء المحضور في عيون الرجال، كما هو معروف أنّه كل ماهو محضور مرغوب.

«فهذا الكاتب الفرنسي المشهور"جورج يارنانوس" يعنون كتابه "الفرح" ويفسر هذه الإستراتيجية بقوله:(قد تعثر في كتابي هذا على كل شيء عدا الفرح)»[2]. و ارتقيت في بحثي أن أدرس عنوان لرواية استطاعت أن تعالج موضوع المحنة التي شهدتها الجزائر في فترة التسعينات، حيث كشفت لنا ماهو مستور انطلاقا من العنوان الرئيسي "راس المحنة 0=1+1".

إضافة إلى عناوين فرعية كانت البداية بعنوان "شرفة أولى" والنهاية كانت بعنوان شرفة "أخيرة"، تتخللهما عناوين: "الخروج إلى التابوت"، "البحث عن العش"، "قراصنة الأحلام"، "الحب وعفونة الرصاص"، "الخروج من التابوت".

عما يلفت الإنتباه هي البنية الغامضة التي بنى عليها العنوان الرئيسي: راس المحنة 0=1+1. فهذا العنوان هو عبارة عن جملة إسمية مقرونة بعملية حسابية خاطئة، أي أن العنوان

[1] : الطيب بودربالة: قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" للدكتور بسام قطوس، ص25.

[2] : المرجع نفسه، ص 25.

مركب أو مكون من أسلوب أدبي واخر أسلوب علمي رياضي وبالتالي فهو عنوان ملغم ينفتح على مخاتله.

– راس: لفظة جاءت نكرة، فالكاتب تعمّد تنكيرها، فنحن أمام راس مجهول لا نعلمه، والرأس هو أعلى شيء لا شيء يفوقه فمكانه في الأعلى، فهي يدّل على المركز باعتبارها أساس الشيء، ،فهو أهم مكون في المستوى العلوي للبنية الفيزيولوجية للإنسان فهو يوحي بالتفكير والعقل.

– المحنة: كلمة جاءت معرفة عكس راس، وبالتالي نحن أمام محنة معروفة أما رأسها أي سيها والمتسبب فيها مجهول، والمحنة تدل على أن هناك ضيق، شدّة، كما تدل على هنا أن هناك مصيبة وحزن و ألام أي كل ماهو متعلق بالتراجيديا، وإذا كان راس يوحي بالمركز، فإن المحنة توحي بأن هناك هامش.

– راس المحنة: في هذا العنوان كأن "عز الدّين جلاوجي" يطرح تساؤلا، فرغم غياب علامة الاستفهام، إلاّ أنني استنتجت أن الروائي كان يتساءل ويطرح إشكالا من هذا العنوان، "فعز الدّين جلاوجي"، كأنه يقول من سبب هذه المحنة؟ من الذي يقتل؟ من يظلم الناس، من الذي أدخل الجزائر في دوامة الدماء؟، فالمحنة التي مرّت بها الجزائر في العشرية السوداء هي معروفة لدى الجميع وما حصل فيها معروف، لكن المتسبب في هذه المحنة غير معروف ولهذا تعمد تنكير"راس" وتعريف "المحنة" كمّا أن راس المحنة تدّل على ان هناك صراع بين الأنا و الآخر، فالأنا متمثل في ذلك الرأس الذي تسبب في إدخال الجزائر في دوامة العنف أما الآخر متمثل في من عاشوا تلك المحنة وتضرروا منها، فالمحنة توحي أن هناك أشخاص يعانون، وبالتالي فالعنوان من أوله يشير إلى أن هناك صراع، وهامش وعقدة متأزمة، وحزن وألام واضطرابات نفسية، فكل هذا يتولد من المحنة، وهذا ما وجدناه في المتن الروائي "فراس المحنة 0=1+1"

يتكون هذا العنوان من مضاف ومضاف إليه، كما أنه مركب من خبر مبتدأه محذوف حيث ترك للملتقى البحث عن ذلك المبتدأ وأوكّل ذلك له في المتن الروائي، فراس المحنة تدل على أن هناك تفكير غير سوي، أي أن ذلك الرأس المجهول تفكيره خاطئ وأنه لا يعرف كيف يسير الأمور بطريقة محكمة لأنه أدى بتفكيره إلى إدخال المجتمع في محنة ولذا فهو راس المحنة.

وبعد هذا الجزء "راس المحنة" يأتي الجزء الثاني والمتمثل في عملية رياضية حسابية لكنّها عملية خاطئة لا يتقبلها العقل وهنا يجد القارئ نفسه في حيرة كيف أن 0=1+1؟ فهل أخطأ عز الدّين جلاوجي في عملية الحساب؟

طبعا لا عز الدّين جلاوجي لم يخطأ في عملية الحساب لأننا «إذ ربطنا العنوان بما جاء في النّص من خلال التعميق في قراءة الرواية، ومن خلال الرؤية التي رسمتها الرواية في الوصف والسرد والحوار وكلام الشخصيات تتجلى مقاصد ومعاني هذا العنوان، فالرقم(1) يمثل الماضي وتحديداماضي الثورة التحريرية، بما فيه من محن وألام، فيشكل الجزء الأول من المحنة، ليأتي الطرف الثاني و الذي رمز له أيضا بالرقم(1) والذي يمثل الحاضر. أي زمن الاستقلال. والذي شهد إستمرار المحنة، وبهذا تتجلى خيوط العنوان لنصل إلى كشف مدلولات هذا العنوان الذي لعب النص الدو الأساس في كشف مقاصده، بكون الثورة التحريرية+الاستقلال=0 بمعنى أن المحنة كانت في الماضي و لا زالت في الحاضر أي:

1 (الثورة) والماضي1+(الاستقلال) أو الحاضر = 0(إنهيار الحلم)»[1]

[1] : نور السادات جودي، بلاغة التقابل في رواية عز الدّين جلاوجي مذكورة لنيل شهادة الماجيستير، بإشراف أد اعلي خذري قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة 2014-2013 ص129

ومن هنا نستنتج أن الرواية تتحدث عن زمنين زمن الإستعمار، وزمن الاستقلال، كأن الكاتب كان يقارن بين هذين الزمنين.

كما أن "راس المحنة" هو عنوان ذو مرجعية تراثية شعبية جزائرية، لقصيدة شعرية كتبها الشاعر الجزائري "سيدي لخضر بن مخلوف"، في محاورة جمجمة وجدها مرماة في الخلاء، ومن هنا نستنتج أن العنوان فيه تناص:

« هذا وطنك ولاّ جيت براني

يا راس المحنة لله كلمني

حر أنت و لاّ مملوك خطاني

و ألاّ أنت خاين قبضوا عليك خيانة

باعوك بقيمة ربعين سلطاني

و الاّ أنت ماكر نصاب للضلالة

و الاّ قاتل روح على أهلك جاني

و لا كانت نفسك ظالمة خوانة

هذا برك و الاّ جيت براني

يا راس المحنة لله جاوبني»[1]

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1 ص من 192 إلى 193.

فهذا العنوان مستوحى من هذه القصيدة التي هي عبارة عن مجموعة من الافتراضات حول جناية، وهو نفس الأمر الذي نجده داخل المتن الروائي.

لننتقل الآن إلى العناوين الفرعية وما حملته في طياتها إذ لها علاقة وطيدة مع العنوان الرئيسي، «من حيث بنائها التقابلي التضادي، وهذه سمة طغت هلى مجموع العناوين في هذه الرواية، مما أكسبها تنوعا وتعدد للدلالات ووضوح للمقاصد والغايات، ونشير هنا أن دلالة الألفاظ على معان متضادة تساعد المبدع على مراوغة اللّغة لإبداع نصوص أدبية، تثير الناقد وتحفزه على مقاربتها، لكنّنا سجلنا اختلافا بين هذه العناوين والعنوان الرئيسي، فإذا كان العنوان الرئيسي حمل في طياته تقابلا تضاديا، فإن العناوين الفرعية لم يكن طرفا التضاد حاضرين معا، فقد جاء طرف الثنائية الأول ظاهرا أي أنها توحي بدلالة سطحية لكنّها تحمل الطرف الثاني من التضاد في داخلها، والذي يكشف عنه محتوى المقطع السردي الذي حمل هذا العنوان»[1].

1- **شرفة أولى:** جملة اسمية والشرفة تدل على حيز مكاني محدد، وفي الرواية عبرت عن الوضع السيئ الذي تعاني منه الشخصيات، وهذا ظاهر في الإهداءات الموجودة في بداية الرواية وكذلك في العتبات السردية الأولى.

2- **الخروج من التابوت:** الخروج يعني الإنتقال من مكان إلى مكان، ويعني الإنتقال من إنتماء إلى انتماء فهذا الجزء كذلك يحيل إلى مكان، بل هنا يوحي إلى مكانين، فالخروج من مكان إلى مكان آخر. إلى: هنا تعني انتهاء الغاية المكانية.

[1] : نور السادات جودي: بلاغة التقابل في روايات عز الدّين جلاوجي، ص129.

التابوت هو الصندوق الذي يوضع ويخزن فيه المتاع، وهو الصندوق الذي يوضع فيه الميت. ويقصد به خروج صالح الرصاصة من قريته إلى المدينة التي تحمل كل معاني الحزن، الموت، والفناء والصراعات التي تدل عليها لفظة التابوت.

3- البحث عن العش: يقصد به الكاتب، البحث عن البيت، وهذا ما يظهر في النص حيث كان صالح الرصاصة يعاني من مشكل السكن، لكنه تحصل عليه.

4 - قراصنة الأحلام: هذا العنوان فيه نوع من الغرابة فهل يمكن للأحلام أن تسرق؟ فهذا العنوان يوحي إلى الشخصيات السلبية التي كانت تستولي على كل شيء وانتهكت حقوق الشخصيات الخيّرة كصالح الرصاصة والجازية ومنير.....

5- الخروج من التابوت: إذ الجزء المعنون "بالخروج من التابوت" يدّل على خروج صالح من القرية إلى المدينة، فإن هذا الجزء يوحي إلى رجوع صالح إلى القرية، أي الخروج الأول كان من القرية، اما الثاني كان من المدينة والعودة إلى القرية، والتابوت يحيل إلى المدينة ومشاكلها وأزمتها.

6- الحب وعفونة الرصاص: هذا العنوان فيه تناقض ملحوظ، الحب والرصاص، فالحب فيه سلم وأمان، أما الرصاص فيدل على الحرب والقتل والخوف والموت، فكيف للحب والرصاص أن يجتمعا؟ فالروائي هنا كان يقصد الحب الذي يحمله كل من صالح ومنير والثنائي ذياب والجازية الذي مثلا ثنائي غرامي له دلالة كبيرة توحي بالعدل والمساواة ورفض الظلم والفساد ويقابله هذا الرصاص الذي خرج من صلاح الدين وجماعته الإرهابية.

7- شرفة أخيرة: هذا العنوان يحيل على انتصار حارة الحفرة التي عبّرت عن كل ربوع الوطن الجزائري، وانتصار الجازية بقتلها لرمز الفساد والمتمثل في "امحمد املمد".

نلاحظ أن هذه العناوين عبرت عن محتوى الرواية، كما أنها منسجمة مع العنوان الرئيسي.

2. دراسة الشخصيات في رواية راس المحنة 0=1+1 لعز الدّين جلاوجي:

أ- مفهوم الشخصية:

إن الشخصية في الرواية هي التي تجذب القارئ، وهي إحدى المعالم المهمة التي يبنى عليها العالم الروائي لكونها محور وأساس الحدث السردي،«فالشخصية هذا العالم المعقد الشديد التركيب، المتباين، التنوع.....تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لختلافها من حدود»[1]، كما أن الشخصيات الروائية هي كباقي شخصيات الموجودة في الواقع لها مخاوف وآمال، لها نقاط ضعف ونقاط قوة، فهي تتواجد في مكان وتنتقل بين الأزمنة، بالإضافة إلى أنها أساس الحدث الروائي، فالشخصيات تتحرك داخل العمل الروائي، تقوم ببناء علاقات مع غيرها من الشخصيات فتحاورها وهذا ما يؤدي إما إلى خلق صراع أو العكس، وذلك الصراع ينتج عنه عقدة المتن الروائي. ومن هنا نستنتج أن «الشخصية إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونها تمثل العنصر الفعّال الذي ينجز الأفعال أو يتقبلها وقوعا التي تمتد، وتترابط في مسار الحكاية، ومن أجل أن تقوم بإملاء اللّحظة المركزية المسندة إليها تأليفياّ، وتفهم الواقع، وتمتلئ بروح الحياة»[2].

---

[1] : عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية. ص 73

[2] : مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، ط01 ، 2005، ص 33.

كما أن الشخصيات أنواع، شخصية رئيسية تمثل وترمز للخير، لها شجاعة وقادرة على التغيير، يقابله شخصية تمثل عنصر الشّر. وهي الخصم الذي يتصارع معه عنصر الخير، كما توجد شخصيات مساعدة تكمّل بناء الرواية، فقد يكون لها دور غير رئيسي، لكنّه أساسي وبدونه لن تكتمل الأحداث. حيث «يعمل الروائي على بنائها بناءً متميزا، محاولا أن يجيد عبرها أكبر ر ممكن من تجليات الحياة الاجتماعية ولذلك يمكن القول: إن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالاّ على المرحلة الاجتماعية التاريخية التي تعيشها»[1]

ويتضح من خلال هذا أن الشخصية «لها ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من وجهة، وهيمنة الايديولوجيا السياسية من وجهة أخرى.»[2]

أما في رواية "راس المحنة 0=1+1"، قد «تطلب تشخيص الراهن من الرواية حضورًا مكثفا للشخصيات من أزمة مختلفة ومن فئات عمرية مختلفة، ومن طبقات إجتماعية مختلفة، وكذلك من فئات اجتماعية متباينة، مما أفرز تنوعا في الشخصيات الروائية أساسه التقابل، فعلى مستوى الأجيال (جيل الاستقلال،جيل ما بعد الاستقلال).

وكذلك على مستوى الوضع الاجتماعي(فقر،أغنياء) والوضع الاعتباري (مقاومين، خونة)»[3] ، وهذا كله في إطار معالجة ودراسة الروائي للواقع المزري لمختلف الطبقات الاجتماعية.

[1] : مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله. ص33.

[2] : عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية ص 76.

[3] : الدكتور بوشعيب الساوري(المغرب): بلاغة السخرية في رواية رأس المحنة 0=1+1، ص 123.

ومن الشخصيات الرئيسية التي لعبت دور مهما في هذه الرواية:

✓ **صالح الرصاصة:**

شخصية أساسية ورئيسية في الرواية، فإسم "صالح" لم يختره الكاتب عبثا وإنّما اختار هذا الإسم قصدًا، فصالح اسم له دلالة عميقة وواضحة فصالح من الإصلاح والصلح، وبالتالي صالح كشخصية في الرواية هو إنسان صالح بكلّ ما يحمله إسمه من معنى يدّل على الخير والرجولة، ومن هنا نستنتج أن الروائي إختار له إسم الرصاصة دلالة على شموخه وصموده ضدّا المستعمر في زمن الاستعمار، لكن بعد الاستقلال تحول من صالح الرصاصة إلى صالح المغبون ثم المجنون، فهنا نلمس مفارقة غريبة في زمنين مختلفين،

كأن الكاتب يتسائل كيف لهذا الرجل الذي ضحى من أجل الوطن وساهم في تحريره أن يتحول من صالح الرصاصة إلى صالح المغبون والمجنون؟ فهل المجنون يحرر الوطن؟ لكن الكاتب أجابنا عن هذا السؤال بإختيار إسم "صالح الرصاصة" فالكاتب أسماه بهذا الإسم وهذه الكنية "الرصاصة"، كأنه يقول أن هذا الرجل الرجل الوطني الصالح، كان صالح الرصاصة وسوف يظل صالح الرصاصة رغم كل الظروف وكل الصعوبات سيظل "صالح الرصاصة"، والدليل على ذلك أن هذه الكنية التي أطلقها عليه وجوه الفساد وأصحاب الظلم بالمجنون والمغبون فهذين الكنيتين كانا يتداولان في المتن الروائي إلاّ على لسان هؤلاء الذين مثلوا الفساد، ومن هنا «يمكن أن يعدّ الإسم أول المؤشرات على هويتها، فهذا من إنجازات الجنس الروائي لأن أسماء العّلم في الأدب تؤدي نفس الوظيفة التي تؤديها في الحياة الاجتماعية تماما»[1]

"صالح الرصاصة" شخصية وطنية مخلصة، فهو رمز للرجال الذين ضحوا من أجل الوطن، هذه الشخصية مثلت لنا زمنين أو قارنت لنا بين زمنين، فمثلت لنا الحاضر والماضي حيث أخذ

[1] : مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله. ص 36.

مساحة واسعة داخل المتن الروائي لأنه وصف لنا الراهن الجزائري في حقبتين مختلفتين إلاّ أنهما مشتركان في شيء واحد ألاّ وهو المحنة الوطنية من إستعمار أجنبي إلى عشرية سوداء وحرب وقتل وفساد لكن من أصحاب الوطن لا من الأجانب، فهذه الشخصية بحضورها بزمنين (استعمار،استقلال) وبمكانين (الريف والقرية)، رسمت لنا تحوّلا وتغيرا للواقع والراهن المعيشي وتناقضاته، حيث إنتقلت هذه الشخصية من مركز إلى هامش:

المركز: في زمن الاستعمار و في القرية: صالح الرصاصة

الهامش:في زمن الاستقلال وفي المدينة: صالح المغبون ثم المجنون.

يقول صالح: «كنت صالح الرصاصة يوم كان الرجال رجالا.....فلما تحررت البلاد اسموني صالح المغبون.....و في أخر عمري صرت صالح المجنون»[1]، كما لاحظنا كثرة الحوار الداخلي لهذه الشخصية التي كانت في حيرة من هذا الواقع، فكان يتساؤل عن سبب هذا الوضع المزري الذي كثر فيه الفساد والنفاق، كما أنه كان حائر في أولئك الخونة (الحركة) الذين أصبح لهم نفوذ وعز ومال وجاه في زمن الاستقلال فصالح كان في دهشة وحيرة من هذا الواقع وهذا الوضع، فأعلن تمرّده عليه وهنا خلق صراع بين الأنا والآخر، فصالح مثل ذلك الأنا الصامد الرافض للظلم والفساد والتهميش، أما الآخر فكانوا أولئك الذين مثلوا الفساد.

فصالح شخصية محبة للماضي رغم محنه، ورافضا للحاضر باحثا عن عالم متكامل ينسجم فيه، كما أن صالح هو شخصية صارمة منسجمة مع نفسها كونها تمثل الخيط الذي يربط بين جميع أحداث الرواية وبقية شخصوصها»[2]، فهذه الشخصية كان لها علاقة مع جميع

[1] : عزالدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 45.

[2] : سامي الوافي: المكون السردي في رواية راس المحنة لعز الدّين جلاوجي، جامعة محمد خيضر، قسم الاداب واللّغة العربية، كلية الاداب واللغات، بسكرة، جانفي، جوان 2012، ص من 177 إلى 178.

الشخصيات الموجودة في الرواية، سواءًا، شخصيات الضدّية لها أو الشخصيات التي يربطها علاقة طيّبة معها. «فذات(صالح الرصاصة) تمثل ذات الإنسان المرتبط بأطره الاجتماعية كونه بقي رهين العجزة الاستلاب»[1].

فهو «صوت الماضي الذي حرص المجتمع على إبقائه، لكنّه صوت ميزته القلق والاضطراب بسبب ضربات الدهر المتتالية»[2]، وهو شخصية لا يستطيع العيش إلاّ في الماضي وعالم الأحلام وبمجرد استيقاضه وعودته إلى الواقع يكتشف علاقته الضدية مع الآخر، ولهذا قرر الهروب من المدينة بحثا عن عالم مثالي يسوده العدل والمساواة والأخلاق والهروب كان بالرجوع إلى القرية رمز النقاء، فذاته كانت معارضة للواقع ولذا كان يرجع للماضي ليحتمي به، وبهذا كان يعيش مفارقة بين زمنين ومكانين. إن صالح الرصاصة هو مثال لكل الرجال المخلصين للوطن، هم رجال يعيشون على حافة الحياة، في حين أن الخونة هم من يسيروا شؤون البلاد والعباد، ولهذا مزال الوطن يعاني من المحن والمشاكل، فعودة صالح الرصاصة إلى القرية دليل قاطع أن الرجال المخلصين للوطن يعيشون حياة مهمشة، فالقرية هي رمز لعالم الصفاء والنقاء يقول صالح: "ولدت في هذه القرية الصغيرة تنام حالمة بريئة كرضيع في حضن جبل جبار، كل شيء جميل ورائع، ليس هناك مكان لنفاق والخديعة لا للزيف والمكر"[3] ، أما عن المدينة فيقول:

"المدينة ياناس قذرة وسخة ستوسختي"[4]

[1] : سامي الوافي: المكون السردي في رواية راس المحنة لعز الدّين جلاوجي، ص 178.
[2] : المرجع نفسه، ص 179.
[3] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 14.
[4] : المصدر نفسه، ص21.

وكان يقول متسائلا :"هل خدعونا حين أوهمونا أننا إنتصرنا على الاستعمار"[1]

"يا ربّ لم تركتني لهذا الزمان الحقير؟يا رب لما خلقتني لهذا الجيل المنحوس"[2]

" كان علي أن اموت حين مات رفاقي في الثورة.....حين مات الرجال الكبار"[3]

إن هذه الأقوال تعبر عن حال شخصية "صالح الرصاصة" ورفضة للراهن وحنينه للماضي، فهذه الشخصية ماهي إلاّ نموذجا لكلّ الرجال المخلصين، فمثلت طبقة اجتماعية معينة وهي طبقة الفقراء وكأن الكاتب يقول أن تلك المحنة عانى منها الفقراء والمخلصين فقط.

ب- الشخصيات النسوية في رواية راس المحنة:

تنوعت الشخصيات النسوية في رواية راس المحنة تنوعا كبيرا كما تميزت بدلالتها الرمزية و أبعادها التراثية و التاريخية، وهذا التنوع راجع لوقوع الأحداث في أماكن متباينة وأزمة غير محدودة من زمن الثورة التحريرية إلى زمن العشرية السوداء.

فالشخصيات النسوية لها أهمية كبيرة في العمل الروائي وهذا أمر طبيعي فقد قال القدماء أن الأرض مؤنثة، والشمس مؤنثة والسماء مؤنثة أي الحياة كلّها مؤنثة، فالمؤنث هو مصدر المذكر وعليه، «فإن صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل.....كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل مجتمعها وتقاليده بجميع عناصرها استقطابا يبلغ حد الثبات والتكرار، فإذا قلنا طالبة الجامعة، أو المرأة العاملة أو الفلاحة.....على سبيل المثال، فمن السهولة بمكان أن نستجمع

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 36.
[2] : المصدر نفسه، ص 40.
[3] : المصدر نفسه، ص 70.

في الذهن مفاهما-لا كفرد-وإنما كنموذج يتسم بسمات عامة »[1] في هذه الرواية تتجلى فيها عدد من الشخصيات النسوية الجازية، عرجونة بنت عمر، عبلة الحلوة، نانة، وهيبة، هجيرة، العجوز عكة، فهذه الشخصيات كان «يغلب عليها الطابع الرمزي، فالكاتب لم يكتفي بوصفها وصفا حسيّا بل اتخذها رمزا لشيء اخر، كان يرمز بها للوطن، فالروائي قد يعمد إلى تجسيد بعض القضايا المعنوية في صورة حسية تأحذ شكل المرأة، وعندها يصير هذا الرمز مجسما وبمثابة قالب تصب فيه المعاني»[2]

✓ **الجازية:**

ابنة صالح الرصاصة، فتاة مثقفة، تعمل في قطاع الشبه الطبّي في سطيف، هي شخصية رئيسية فهي رمز للمرأة المثالية، القوية، المتصدّية لكل الأزمات، كما أنها رمز للأمل والخلاص، فهي التي قتلت رمز الفساد أمحمد املمد، نجدها أيضا تتمتع باكبرياء لكونها ضدّ الواقع المزري، فكانت رمزًا لتحدي وهذا ظاهر في وصف الكاتب الكاتب لها:

"وحدك يا الجازية

أيتها الوشم الرابض على فوهة المدفع

أيتها الدمعة الحيرى على شفير الوطن"[3]

"لا تخافي يا الجازية يا أمل الجميع"[4]

وفي قوله:

---

[1] : هيمة عبد الحميد: سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، ص 123-124.

[2] : المرجع نفسه، ص 125

[3] : عز الدين جلاوجي: رأس المحنة 0=1+1، ص 12.

[4] : المصدر نفسه، ص 13.

"ها قد عادت الجازية.....

ها قد عدت.....عدنا.....

تعود الجازية كل شيء يعود

يعود الإشراق للقمر.....

تعود الأوراق للشجر....."[1]

"أنت يا الجازية في هذه الحارة كل شيء.....

قد تجف البحار.....

قد ترتخي الجبال.....

قد تجبن الريح

لكن الجازية يجب أن تبقى أبدًا كبرياء"[2]

ومن خلال هذا يتضح أن شخصية الجازية شخصية قوية صامدة كما أنها ذات حمولات ثراتية، فهي تحلينا إلى شخصية الجازية في السيرة الهلالية جعلها جلاوجي رمزًا للتمرد وعدم الخضوع، فالكاتب هنا يستدعي في نصه الشخصية الثراتية بلحمها ودمها»[3].

فهذه الشخصية بمواقفها الرافضة للقهر والاستغلال كانت رمز للنّطال والشجاعة والصبر،«كما يبدو في شخصية الجازية التي تحمل مخزونا خاصا داخل الثقافة العربية، وهي في

[1] : عز الدين جلاوجي ، راس المحنة 1+1=0، ص 45 ، 46

[2] : المصدر نفسه، ص 189.

[3] : هيمة عبد الحميد: سيميائية الشخصية النسوية في رواية رأس المحنة لعز الدّين جلاوجي، ص 125.

الرواية تكون خلفية العمل الفني تربط الماضي بالحاضر وتدعو إلى مزيد من المواجهة والتصدي للواقع»[1]، في واقع الأمر شخصية الجازية هي رمز لوطننا الجزائر، هذا الوطن المليئ بالأحزان والجراح ورغم ذلك بقي هذا الوطن واقفا، صامدا في وجه أعدائه، «ولعل القارئ يلحظ ما بين الجازية والجزائر من تقارب حتى على مستوى اللفظ، باشتراك اللفظتين في عدة حروف، وهذا يدّعم الوظيفة الرمزية لهذه الشخصية، إنّها كل شيء بالنسبة لأهل حارة الحفرة، إنها الوطن، إنها الشرف والكبرياء العربي الأصيل الذي لا يخضع ولا يستسل»[2].

«و قد صورها الكاتب امراة تبحث عن الحب الذي هو تجسيد لأزمتها في البحث عن الحرية الذاتية وتحقيق الوجود الفردي في المجتمع»[3]، كما عمد إلى وصفها بصفات مستوحاة من عناصر الطبيعة الجميلة:

"كانت هيفاء ممتلئة خصبا ونماء.....

سمراء بلون الأرض المعطاء.....

في عينها حسن متمرد وكبرياء كئيبة.....

شفتاها ترتجفان كورقتي شجرة نعنع يانعة.....

يداعبها نسيم الصبا....."[4].

ومن حيث علاقتها بالآخر مثلها في نقطتين:

---

[1] : هيمة عبد الحميد ، سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعزدين جلاوجي ، ص 125

[2] : المرجع نفسه، ص 127.

[3] : المرجع نفسه، ص 126.

[4] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 47.

- علاقتها بذياب، علاقة حب وإحترام.

- علاقتها بأمحمد أملمد، علاقة ضدّية، فيها كراهية وحقد.

فعلاقة الجازية بذياب هي ليست علاقة غرامية كما هو معروف وإنما هذا الثنائي كانت له دلالة عميقة، كما سبق الذكر أن الجازية كانت ترمز للجزائر، أمّا ذياب فهو رمز للمخلص وهو رمز العدالة والدّفاع عن الحقوق، فحبّ الذياب للجازية، إنما يعبر عن حبه لوطنه الجزائر وهذه الدلالة توحي على أن الجزائر لا ترتبط إلاّ مع مخلصيها ومحبيها، كأن الكاتب يقول أن الجزائر لا تقبل إلاّ المخلصين والأوفياء.

أما علاقتها مع أمحمد أملمد رمز الفساد والظلم، الذي أراد أن يتزوجها وطبعا رفضته، ففكرة الزواج هنا تعني رفض الآخر، وتعني كذلك أن الجزائر لا تقبل ولا ترضى بهؤلاء الخونة، ففكرة الزواج كانت لها دلالة عميقة، حيث رفض هذا الزواج حتى أباها صالح وهنا كأن الكاتب يقول لا نسلم لكم هذا الوطن فنحن لا نفرط فيه، فصالح تخلى عن كل حقوقه أي انّه تنازل على كل شيء وكأنه يقول لقد أخدتم منّا كل شيء، لكن اتركوا لنا هذا الوطن لأننا لا نتنازل عنه ولن نبيعه مهما كان الثمن، وبالفعل الجازية لم تتزوج منه فعلاقتها مع الآخر تشكلت في نقطتين: الاتصال والانفصال: اتصال مع رمز العدالة والحب، انفصال مع رمز الفساد، فرغم اغراءاته إلاّ انها وقفت في وجهه كالمرصاد، أي أن الجزائر ستظل قوية شامخة في وجه أعدائها. تقول الجازية عندما جاءها أمحمد أملمد

"ما الذي جاء بك كالشيطان إلى هنا؟"[1]

وفي ردّها عن طلب زوجها منه تقول:

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص88 .

"لقد حسمت في الأمر ألف مرة الطيبون للطيبات"[1]

أما بخصوص أباها صالح في ردّه عن طلب زواج: بإبنته يقول صالح: "نجوم السماء أقرب إليك أيها النجس"[2] وردّ عليه امحمد املمد:

"والله لاخذنها أو لأقتلنكم جميعا أيها الأنذال"[3]

فهذه الأقوال كلها توضح و تبين حقيقة فكرة الزواج التي لها دلالة عميقة و في الواقع ماهي إلا علاقة الجزائر بأعدائها و بمحبيها.

كما أن هذه الشخصية امتلكت في هذه الرواية ملحمين، أي شحصيتين الأولى وهي الشخصية الأساسية للرواية ابنه صالح الرصاصة، أما الثانية فهي الجازية الهلالية التي روتها عرجونة أم الجازية و دلولة أم ذياب في الرواية: "خالتي عرجونة اصدق منهم حين تحكي عن ذياب الهلالي "[4] و هكذا نستنتج ان الجازية هي رمز للمرأة الجزائرية المناضلة الصبورة فهي تمثل قوة الإرادة و العزيمة، كما انها رمز للوطن الذي يظل شامخا، صامدا في وجه أعداءه و أكبر دليل على أن الجازية هي رمز للوطن ما جاء في المتن الروائي:

"ما الذي جاء بذياب إلى هذه الأرض؟

ويجيب ضاحكا:

لأنه كان يحب الجازية

[1] : عز الدين جلاوجي ،راس المحنة 1++=0،ص 89.
[2] : المصدر نفسه، ص 82.
[3] : المصدر نفسه، ص 82.
[4] : المصدر نفسه، ص26.

وما علاقة الجازية بهذه الأرض؟

الجازية هي هذه الأرض"[1]

كما أن الكاتب وصفها بأبهى الصفات وهذا ظاهر في الإهداء أي في بداية الرواية وأعادها في نهاية الرواية وهي عبارة عن موال كتبه لها خطيبها ذياب:

"يا سيدة الضياء

وسيدة الأرض والسماء

يا سيّدتي

ياشذى الحبق ولون الكستناء

وروح الروح وسر الماء

داياتهم خسؤا

وانبجس الضياء

تيهي على عرش قلبي

و ازرعيه خصبا ونماء

واصاعدي.....اصاعدي

على درجات الفؤادا الموله

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0 ص 26.

مقامك يا سيدتي في عش السماء

في سدرة المنتهى....."[1]

فهذه المقاطع تدل على ما تحمله هذه الشخصية من دلالات ورموز.

✓ **عبلة الحلوة:**

شابة مفعمة بالحياة، ذات حسن وجمال وإسمها يدل على أنّها جميلة، فعبلة تعني الخلق التام، ما يلفت الإنتباه أنّ الكاتب إهتمّ كثيرا بوصفها ورسم ملامحها بدقّة، فقدمها للقارئ في صورة فنية جميلة، يقول:

"بضة كانت كأنما هي منحوتة من المرمر....

يتهدل شعرها الخروبي في كبرياء وغنج

على كتفيها مفتولا ملتويا.....

وجهها استدارو امتلأ كقمر يتربع على عرش الغسق تختال في مشيتها.....

تضرب قدميها على الأرض المتربه في زهو شديد...."[2].

عبلة كانت أية الجمال التي هام بها كل شباب حارة الحفرة. هذه الشابة كانت كبقية سكان حارة الحفرة لها معاناتها الخاصة والعامة التي تشترك بها مع أهل سكان حارتها، أما الخاصة فهي شابة يتيمة والديها منفصلين تعيش مع والدها وزوجته، لم تتمم دراستها، كانت تساعد أباها في عمله. لكن سرعان ما تغيرت حياتها بسبب اغتصابها على يد رمز الفساد أمحمد

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1 ص5 و 220

[2] : المصدر نفسه، ص 90.

أملمد، ورغم ما حصل لها لم تقف السلطة معها، بل غطت على هذه الجريمة وهكذا خرج أمحمد أملمد براءة لأنه صاحب نفوذ، نزل هذا الخبر كالصاعقة على والدها وأهل حارة الحفرة وأججّ فيهم روح التمرد والثورة على قوى الظلم حيث قالوا لشرطة:

"دعوا الأمر بيننا وبين أمحمد أملمد.....نحن لا نريد أن نحاكمه.....نريد فقط ذبحه كالبعير وكفى"[1]

فعبلة كانت الشمس التي تضيئ على حارتهم، كانوا يفتخرون بها أمام الأحياء الراقية ويظهر ذلك في قوله:

"الحلوة بالنسبة لحارة الحفرة الشمس التي يتبهون بها أمام أبناء الأحياء الراقية..... حتى إذا افتخروا عليهم بما عندهم من مرافق قالوا ابتعال: وهل عندكم مثل الحلوة"[2]

إن شخصية عبلة الحلوة تهدف إلى اظهار الممارسات الوحشية لرمز الفساد أمحمد أملمد، الذي اغتال براءتها وحطم احلامها، وهذا ما جعلها تختفي من الرواية لكنها عادت لظهور في نهاية الرواية لتشارك الجازية وحارة الحفرة في انتفاضتهم وغسل العار، فهذه الشخصية لها دلالات كثيرة وفي حقيقة الأمر ما هي إلاّ «رمز للوطن المعتدي عليه، رمز للضياع العام للوطن، وفي الوقت نفسه رمز للتحدي والمواجهة»[3]، أما بخصوص اهتمام الكاتب بوصفها بدقة وعناية وابراز ذلك الإعجاب بها من طرف شباب حارة الحفرة، هنا كذلك نلمس دلالة عميقة في هذا الوصف الجميل الذي يشير إلى «الوطن المعبود الذي يحرك الشعب على التمرد، ولهذا نفهم لماذا بالغ الكاتب في وصفها، إنّها تمثل قمة الإحساس الرومانسي المثالي بالوطن المعبود

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 100.

[2] : المصدر نفسه، ص 96.

[3] : هيمة عبد الحميد: سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، ص 128.

والتغني بجماله وسحر طبيعته.»[1] ، وفي اغتصابها دلالة توحي أن هذا الوطن مستهدف من قبل الخونة الذين يدّعون انهم يحيبونه، كما أن الإغتصاب راجع إلى حقد يعود إلى زمن الثورة التحريرية وهكذا تحولت هذه الشخصية إلى عامل من عوامل الثورة التحريرية وأثارها وفي ثورة شباب حارة الحفرة، دلالة أن هذا الوطن له اهله ورجاله الذين يحموه ويثأرون له، فحادثة الإغتصاب وتمرد السكان دلالة على الشرف الوطني والعربي، كأن الكاتب يقول: نحن نسكت، نتنازل عن كل حقوقنا وأحلامنا وأمالنا، لكن شرف وطننا لا نتنازل عليه ولن نسكت عنه، وكأنه يقول ايضا أنّنا لم نتحرر بعد من الاستعمار، فأثاره وأحقاده مازالت موجودة في المجتمع، وأن الخونة الذين باعوا الوطن إبان الثورة التحريرية مازالو موجودون بعد الاستقلال، وبالتالي ما زال هذا الوطن يباع ويغتصب لأن هؤولاء الخونة أبناء الحركة تحولوا إلى رجال لهم سلطة ومال ونفوذ، وبالتالي لا يزال هذا الوطن مستعمرًا، وقد عمد الكاتب على إخفاء هذه الشخصية بعد إغتصابها لكنه اعادها في نهاية الرواية لتشارك سكان حارتها في الإنتقام وهي دلالة على أن هذا الوطن سيظل صامدًا في وجه أعدائه وسوف ينتقم منهم، فرغم كل المحن يبقى هذا الوطن شامخا كالجبل، يقول الكاتب:

"تتهادى الشقراء راقصة حوله.....تفتح الأشداق مبهوتة مبهورة.....ترتفع صيحاتها.....على مرمى حجر تقفين مهرة جامحة تلتصق الشقراء به..... يعد ومنير ..... يسبقه ذياب.....تحدق فيه عيون البنادق شزرًا.....تشحدين القلب .....تشحدين الخنجر.....تدفعينه نحو القلب.....تغرسينه فيه.....يتهاوى نحوك جثة هامدة"[2]

[1] : هيمة عبد الحميد: سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، ص 128.

[2] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 219

ويواصل قائلا: "تضمك الشقراء عبلة الحلوة إلى صدرها الملتهب ينفرط طوق الحقد ....والدايات.....يتناثر ها هناك.....وها هناك"[1]

فالجازية وعبلة الحلوة كانت من الشخصيات النسوية الأساسية بالإضافة إلى شخصيات أخرى، كان ظهورها قليل، فلم تأخذ مساحة واسعة في المتن الروائي إلاّ أنها لعبت دورها في الرواية ومن هذه الشخصيات:

✓ **عرجونة بنت عمر:**

زوجة صالح الرصاصة، وأم الجازية وعبد الرحيم، امراة تتمتع بالكبرياء، كانت مساندة لزوجها، هذه الشخصية نالت مساحة ضيقة من الرواية لكنها شخصية لها اهميتها، حيث ظهرت مريضة تعاني من مرض حاد يتطلب علاجها تكاليف باهظة، هذا المرض أفقدها القدرة على المشي، لكن رغم مرضها إلاّ أنّها شخصية قوية لا ترضخ لأحد لها عزة نفس قوية، رغم شللها وقفت كالمرصاد في وجه العجوز عكة حينما أرادت أن تؤذي ابنتها الجازية.

إن هذه الشخصية برغم أنها شخصية ثانوية في العمل الروائي إلاّ انها ذات دلالة عميقة، فهذه المرأة بكبريائها وقوتها رغم مرضها كانت ترمز كذلك للوطن، فالجزائر رغم كلّ ما تمرّ به من محن (استعمار فرنسي، عشرية سوداء) إلاّ ان هذا الوطن ظل صامدا، حاميا أبناءه، فذلك المشهد عندما أحضرت العجوز عكة صحن اللحم إلى بيتها من أجل جلب الأذى لإبنتها الجازية، وابنها من الرضاعة منير، تصدّت لها بكلّ قوة كأنها ليست مشلولة "ورأيت أمّا عرجونة ترتجف كجناحي عصفور مذعور.....كأنما شفيت من شللها.....ثم تحركت

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 220.

وتهاوى الصحن على الأرض وتناثرت أجزاؤه على أرضية الغرفة ممتزجة بقطع اللحم.....أسرعت مع الجازية نرفع أمّا عرجونة ونعيدها إلى مكانها"[1]

فمرض أمّا عرجونة رمز لمرض وطننا الجزائر، وقوتها دليل على قوة هذا الوطن، الذي يحمي أبناءه المخلصين، أما بخصوص تكاليف العلاج الباهضة، تعني أن الوطن يحتاج تغييرات جذرية من أجل شفاءه.

✓ **نانا علجية:**

شخصية فعالة في النّص الروائي، مثلت الجانب الخيري، فهي شخصية خيّرة تتميز بأخلاق نبيلة، فهي مجاهدة زوجة الشهيد رابح البسكري، هي مثل عمي صالح عاشت زمن الثورة وما بعد الاستقلال، كانت أمّا للجميع إبان الثورة التحريرية، فهي إمرأة عظيمة ربت حفيدها منير عندما توفيت والدته، حيث نذرت بأن تربي إبن الشهيد، فعلاقتها بحفيدها هي علاقة وطن بأبناءه، فهي المرأة المخلصة،الوفية فهي نموذجا للمراة الجزائرية التي ساندت الرجال في تحرير الوطن، لكن ما يلفت الإنتباه ان الكاتب ركز كثيرا في علاقتها مع حفيدها، كما أنّها مثلت صوت الماضي الذي بقي حاضرًا، كانت تروي بطولات وتضحيات الشهداء، فهي تقدسهم تقول:

" الشهداء يقتلون ولكنّهم لا يموتون.....

إنّهم أحياء بيننا يرزقون.....

عيوننا قاصرة عن رؤيتهم"[2]

---

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 190.

[2] : المصدر نفسه، ص 96.

والملاحظ أن هذه الشخصية كانت تظهر بكثرة إلاّ على لسان حفيدها منير، عندما يتذكر ذكرياته معها، كان شديد التعلق بها، حتى بعد وفاتها في المدينة المنورة عندما ذهبت للحج ودفنت بها، إلّا أن منير ظلّ حاملا كل ذكرياته معها، فهي كانت الصدر الدافئ له، وكأن الكاتب يقول أن هذه المرأة بعظمتها تستحق أن تدفن في أرض مقدسة مع الشرفاء، اي أن هذا الوطن مكانه مع الشرفاء.

نانا علجية رمز للوطن الذي يحمي أبناءه ويحنّ عليهم، كما أنها رمز للنظال والجهاد والصبر، يقول منير:

"اه يا دفء نانا.....

يا عش نانا.....

يا حضنها.....

يا صدرها....."[1]

هذه العبارات تدّل على اشتياق منير لجدته وحنينه إليها وهذا يعني حنينه لوطنه المجروح.

✓ **العجوز عكة:**

هذه الشخصية عكس شخصية نانا علجية لأنّها سلبية، مثلت جانب الشر داخل الرواية، فهي من أتباع رمز الفساد أمحمد، كما صورها الكاتب أنّها إمرأة ثرثارة، تنشر النميمة بين الناس فالكاتب من خلال هذه الشخصية كان يوضح طريقة تفكير هذه الفئة من المجتمع، هذه الفئة التي تمثل الجهل، فالعجوز عكة كانت تمارس طقوس السحر من خلال كلب تعذبه ثم

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 95

تذبحه وتقدّم لحمه لكل شخص حتى يصبح كالكلب عبدالها ولأشكالها من الفئات الظالمة، هذا ما اراد أن يوضحه الكاتب من خلال عرض هذه الشخصية، كما أنّه أراد أن يبين ان هذه الفئة الجاهلة يستغلها وجوه الفساد والظلم من أجل تحقيق مصالحهم، فمثلا عندما عاد أمحمد أملمد من الحج، وأتى إلى حارة الحفرة ليوزع الهدايا على سكانها لم يقبلها أحدًا منه إلى العجوز عكة وهذا يظهر في قوله:

"قد زار في سيارته الفارهة مع سائقة وحارسه هذا الصباح حارة الحفرة يحمل مئات الهدايا ليوزعها على سكانها.....لم يكلمه إلا العجوز عكة.....عكة وحدها هنأته ووحدها عكة استسلمت هديته....."[1]

✓ **حسناء:**

شخصية ثانوية، وصفها الكاتب بالجمال والأناقة، فهي شابة مثقفة لها وعي كبير، كانت صديقة الجازية وحبيبة منير، فهي تشبهم في أفكارها ووعيها إلاّ انّها ليست فقيرة فهي من عائلة غنية أمّها تحب المظاهر والمال و لم ترغب في تزويجها بمنير لأنه يتيم وفقير، أرادت أن تزوجها من عنّي ذو مال وسلطة، إلاّ أنّها وقفت في وجه والدتها. فحسنة مثال للمرأة الجزائرية الوفية والمخلصة والصبورة فرغم الصعوبات والضغوطات التي وجهتها إلاّ أنها كانت فتاة صبورة شجاعة وقوية. يقول عنها منير:

" إلى متى وأنا أحمل هذه الحسناء همومي؟ وإلى متى وأنا أشنق أحلام هذه الغزالة الطريدة بجبال تسويفي"[2]

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 188

[2] : المصدر نفسه، ص 111.

✓ **هجيرة:**

شخصية ثانوية، كانت مساحتها جدّ ضيقة في أحداث الرواية فهي ابنة صالح الرصاصة وأخت الجازية، لكنّها لا تشبهها فهي إمراة ربّة بيت، ليست مثقفة، متزوجة في الريف زوجها من أقارب أحد أعداء الثورة التحريرية ولهذا كان صالح منحرجا من هذا الزواج، هذا فقط ما روى عنها، وبعدها ظهرت في مشهد تمثل في حفل ختان إبنها بسبب ذلك الحفل، قتل أخاها عبد الرحيم.

✓ **وهيبة:**

شخصية ثانوية لكنّها لعبت دور مهم، هي زوجة عبد الرحيم إبن صالح، إبنة الحاج الهاشمي، أخوها صلاح الدّين الإبراهيمي الذي قتل زوجها، وهبيه لم تحصل على مساحة واسعة في المتن الروائي، حيث أنّها ظهرت في مشهد واحد والمتمثل في قتل زوجها، تقول الجازية:

"لاحظت يد زوجته وهيبة الملساء تمتد من مكانها الخلفي فتمسك يده وتضغط عليها .....وإشتد إضطرابي بحرارها لقد أحسست بالتوتر الشديد الذي يعيشه عبد الرحيم والذي إستطاع أن ينقله إلى جميع من معه في السيارة....."[1]

تقول وهيبة مخاطبة الجماعات الإرهابية وهي كلّها خوف على زوجها:

"أقسم أنّنا أبرياء نصلي ونصوم ونتقي الله ولسنا في أي جهة لا مع هؤولاء

ولا مع هؤولاء.....نحن كادحون همنا إكتساب لقمة الحلال"[2]

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 125

[2] : المصدر نفسه، ص 126-127.

فوهيبة كانت لها دلالة عميقة فهي ترمز للوطن المجروح، الحزين على أبنائه، وتتضح دلالتها عندما تعود في نهاية الرواية وتخبرنا الجازية أنّها ولدت طفلا:

"وهيبة انجبت طفلا، وجدت نفسي أصرخ من اعماقي سالم العلواني.....سالم البطل .....ما أعظمك يا رب !"[1]

فهنا وهيبة رمز للوطن الذي يظل صامدا فرغم كلّ المحن يبقى هذا الوطن ينجب الرجال، فالطفل الذي ولد سمّوه "سالم العلواني"تبركا بجدّهم الشهيد سالم العلواني أب صالح الرصاصة وجدّ عبد الرحيم، فالكاتب من خلال هذه الولادة أراد أن يمرّر فكرة أنكم مهما قتلتم أبناءالرّجال لن تستطعون قطع سلالة الفحول المخلصين للوطن، فعبد الرحيم قتل، لكن ها هو إبنه ولد وبالتالي سيظل هذا الوطن ينجب الرجال، هذا الطفل سموه سالم العلواني ويعني انّه سنبني مجتمع فيه رجال من سلالة الشهداء والشرفاء، رغم قتلكم إلاّ أنكم لن تستطيعون قطع سلالة الرّجال، وبالتالي وهيبة رمز للوطن الذي سيظّل ينجب الرّجال رغم كلّ المحن.

فهذه هي الشخصيات النسوية الموجودة في رواية راس المحنة التي عبرت عن «الواقع تفاؤلا وتشاؤما وإستشراقا لمستقبل مشرق، وتضايقا من الواقع المزري البائس الذي ضاعت فيه حقوق النّاس البسطاء الطيبين ووأدّت فيه أحلامهم البسيطة، وفي مقدمة هؤلاء المرأة التي وفق الكاتب في إبراز معانتها بشكل رمزي عميق»[2].

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 214

[2] : هيمة عبد الحميد: سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز دين جلاوجي، ص 129.

ج- الشخصيات المثقفة:

لا يخلو أي نّص روائي من وجود شخصيات مثقفة تمثل طبقة معينة من المجتمع، وإذا تكلمنا عن رواية المحنة التي إهتمت بتصوير حالة المثقف ومحنته تصويرا دقيقا، وهذا ما وجدته في رواية راس المحنة لعز الدّين جلاوجي، ومن أهم الشخصيات المثقفة نجد:

✓ **منير:**

شخصية أساسية، فهو مثقف يعيش على هامش الحياة، كان كثير المطالعة، حيث وجد في قراءة الكتب عالم آخر، يهرب إليه من وجع الواقع، حتى إسمه كان دّالا على أنّه إنسان مثقف فمنير من النّور.

منير تربى يتيما ربته جدّته "نانا علجية" تربية حسنة، غرست فيه أخلاقا حميدة، فعلاقته بجدته كانت علاقة مفعمة بدّلالات، فتعلقه بجدّته إنّما هو تعلقه بوطنه، هذه الشخصية كانت محاصرة بين حقبتين، الماضي والحاضر، فعبثيه الحاضر جعلته يهرب للماضي بذكريات الطفولة مع جدّته، كلّما قست عليه الحياة كان يرجع للماضي ليحتضن فيه كالطفل الصغير، فمن خلال ماضيه روى لنا عن عادات وعقائد الأجدادوتقاليدهم وطريقة تفكيرهم، فمثلا عندما روى كيف كان يصعد للجبل مع جدته التي يناديها "بنانا" وكان يغني مع الأطفال:

" اربيع ربعاني

كل عام تلقانيانا وخياني

في لجبل الفوقاني

.....

إيه يا ربيع الطفولة والحبّ

ياربيع نانا"[1]

وفي رفضه للحاضر يقول منير:

"نعيب زماننا والعيب فينا، وما في زماننا عيب سوانا إيه يا زمان نانا..... !"[2]

فالوضع الذي يعسشه منير مع أبناء وطنه جعله يتمنى لو يرجع إلى ماضي الطفولة ليحتضن جدته يقول: "ماذا لو عاد بي العمر إلى حضن *نانا.....نانا وحدها تقدر على إنقاذي أه أيتها البتول رحمة الله عليك"[3].

فشخصيته تعكس لنا صورة المثقف المهمش، أين لم يعد للمثقف أي مكان في هذا الواقع الجديد، كان يدافع عن الحق، لكن ظل صوت بلا صدى، كما أنه كان شديد الحرص على متابعة الأخبار السياسية.

منير ما هو إلاّ نموذج لشاب الجزائري المثقف، الذي يسخر منه الراهن فلم يجد مكانته في مجتمع يسوده الجهل والظلم يقول أمحمد أملمد ساخرا منه:

"منذ الإستقلال إلى اليوم لم اعرف في هذه المدينة رئيس بلدية تجاوز مستواه الإبتدائي، منير مثقف هل يقدر على قيادة الناس؟"[4]

كما تتجلى من خلال هذه الشخصية الضغوطات التي يعاني منها المثقف خاصة في التسعينات، حيث كان المستهدف الأول يقول نمير:

---

* : نانا: اسم يطلقه على الجدّة في الشرق الجزائري

[1] : عزالدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1 ، ص 103

[2] : المصدر نفسه، ص 102.

[3] : المصدر نفسه، ص 112.

[4] : المصدر نفسه، ص 164.

"إلى متى ونحن لا نحس في أرضنا.....في أعشاشنا بالأمان؟ لقد صرت أتلقى كل يوم بالوقوف مع الطاغوت ووجوب العمل معهم لإقامة الدولة الإسلامية.....ومرة يتهمني كاتبوها بأنني إرهابي مناهض للسلطة والوطن والديمقراطية ويجب علي أن أتوب ماذا لو طرت مثل الحلاج ؟

أمسك بطرف منديلي فقط ثم أطير لأفّر من هذا الجحيم الذي أعيش فيه..."[1] كل هذه الضغوطات جعلت منير في حالة نفسية يرثى لها ونلاحظ أنه كثير الحوار الداخلي.

منير كان يحب وطنه كثيرا رغم عيوبه لم يفكر أبدا في مغادرته، ومعاناته وصلت إلى حدّ سجنه بدون سبب بمكيدة من رمز الفساد أمحمد أملمد لأنه كان يدرك مدى خطورة المثقف عليه وإمكانية كشف خدعه على الشعب، وهنا نلمس أهمية المثقف في المجتمع. فمنير شخصية يمكنها «أن تمثل بحقائق الراهن وتأزماته في حالة الحضور، كما يمكنها أن تمثل الواعية لمكنات الهوية وإيديولوجيتها المتمثلة في الشباب وفي الوعي العارف بواقع الحال، وكذا بامتهانه بيع الكتب التي جعلته يعرف خبايا التراث ومتاهات الفكر والوعي الغائبين عن الآنية»[2].

منير شخصية عبرت بكل مصداقية عن صورة المثقف الذي يعيش في وطن ضائع، محاصرا من طرف السلطة ومن قبل الإرهاب، إلاّ أن هذه الضغوطات لم تمنعه عن التعبير وإبداء رأيه، فعبر بكّل جرأة عن أمور لا تخدم السلطة المستبدّة، لذا حكم عليه أن يعيش في ظلام وحيدا مهمشا، بعيدا كل البعد عن المجتمع، فمن خلال هذه الشخصية أراد الكاتب أن يعالج موضوع المثقف الذي كان مجرد صوت بلا صدى، مسلوب الحرية يقول منير:

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 112.

[2] : بشير بويجرة محمد: أزمة الهوية أم عبثية الراهن في رواية "راس المحنة"، مقاربة حول يعال راهنية الهوية، ضمن دراسات لأعمال عز الدّين جلاوجي، جامعة وهران ص 149.

"حرية الرأي حمامة مشنوقة في كل مكان.....بطالة سافرة أو بطالة محجبة..... بلادنا أصبحت سوقا ضحمة لسلع تنتجهها حتى الدول الضعيفة.....وتستوردها عصابات أثرت على حساب الوطن.....تدّن لمكانة العلم ومكانة أهله حتى غدوا محل إحتقار الدهماء والرعاع.....الأقلام التزيهة غدت بين فكين.....فك الإرهاب وأصحاب المصالح وفك أصحاب الأمر والنهي.....مستنقعان يجب أن يسبح قلمك في أحدهما أو فالويل له....."[1].

منير«رمز مكثف لغياب العدل وتفشي لظلم والإحساس بالهزيمة للتتراكم عليه الإساءات، وهذه إشارة إلى عدم التكافؤ الاجتماعي في الحياة، وغالبا ما تؤدي هذه المفارقة إلى التراع ومن ثم الانفصال، للتوزع هذه الشخصية بين الواقع والحلم، بين الخوف والتحدي، بين الندم والرغبة»[2]

✓ **ذياب:**

شخصية أساسية، مثلت الطبقة المثقفة التي تدافع عن قضايا وطننا، فهو شخصية متعلمة يميل للمعارضة السياسية ولذا إختارمهنة الصحافة ليسخرقلمه لخدمة مجتمعه كما بيّنت الرواية أنّه شخص صعب، متقلب المزاج، كان محبا لقراءة التاريخ، فذياب هو خطيب الجازية إبنة صالح كان يحبها كثيرا إلاّ أن حبه لوطنه كان أكبر من ذلك، فقد اختار السكن في العاصمة حتى يشتغل صحفي في جريدة الشروق، هذا ما أبعده عن الجازية وعطل زواجها، فرغم حبه إليها إلاّ أن إهتمامه بوطنه كان أكبر من ذلك، كان يقول لها كيف لنا أن نفرح ووطننا يترف

[1] : عز الدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 142 إلى143.

[2] : سامي الوافي: المكون السردي في رواية راس المحنة عز الدّين جلاوجي، ص 192-193 .

الدّماء في كل لحظة وكما سبق الذكر فإن حقيقة علاقتهما لم تكن علاقة حب غرامي كما هو معروف، فحبّه وإخلاصه للجازية إنّما هو حبّه لوطنه الجزائر تقول الجازية عنه:

"تغير مزاج ذياب بعد دخولنا الثانوية أصبحت أراه عصبيا أكثر من اللاّزم.....

وأصبحت أراه قد بدأ يميل إلى المعارضة السياسية، كنت أقول دائما له: يا ذياب هذا بحر لا نحسن السباحة فيه..... يكفينا بحر الحب....."[1]

وتضيف الجازية:

"كنت على يقين أن هذا الطريق سيخطفه مني.....لقد كان يمارس نوعا من الثورة غير المتزنة.....خاصة ضدّ التاريخ.....يشك في كل ما يراه الآخرون"[2]

وتضيق أيضا رواية عن مبادئ وأفكار ذياب:

"كان ذياب يحب التاريخ بجنون ويقرأه بنهم ولكنّه لم يكن يقدسه كان يقول التاريخ كذبة كبيرة يصوغها نحاتو الساسة كل مرة على مقاساتهم....ولست ساذجا فأصدق ما يقولون، أحب أن أقرأ التاريخ كما أودّ لا كما يودون.....خالتي عرجونة أصدق منهم حين تحكي عن ذياب الهلالي والجازية"[3].

ومن خلال هذا تتضح مواقف ومبادئ ذياب، فهو إنسان وطني يحب وطنه بجنون،لكن ما يلفت الإنتباه أن هذه الشخصية كانت «غائبة على مستوى الخطاب السردي- غائبة جسديا-لا نعرف ما يحصل لها إلاّ على لسان غيرها، حيث عمد السارد إلى تغييبه عنوة بأن

[1] : عزالدّين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1 ، ص 25

[2] : المصدر نفسه، ص25.

[3] : المصدر نفسه، ص 26.

أقام في الجزائر العاصمة البعيدة عن مكان الأحداث في هذه الرواية، ليشغل هناك صحفيا بجريدة الشروق اليومي كاشفا من خلالها زيف الواقع معريا حقيقته، وهكذا إعتمد السرد مع هذه الشخصية وما يحيط بها من أحداث باستخدام ضمير الغائب «هو» على لسان الشخصيات الأخرى»[1].

ومع هذه الشخصية نلاحظ أيضا محنة المثقف، فالكاتب لم يخفيه في المتن الروائي عبثا وإنّما تقصد ذلك، فذياب كان يتعرض دائما للتهديد والقتل وهذا ما جعله يختفي وهذه التهديدات والقتل والاغتيالات كانت بسبب ما يكتبه عن الواقع المزيف، كان يقول للجازية:

"القلم صاروخ ذو حدين يبيد الشر ويبذر الأمل.....هل رأيت سلاحا ذا حدين يا الجازية"[2].

وتظهر محنته حينما تسرد الجازية عن وضعه المتأزم نقول "لقد تلقى العشرات من التهديدات عبر البريد والهاتف وتعرض لمحاولة اغتيال خاصة بعد مقالاته. وفي حالة يرثى النارية التي كتبها ضدّ الأثرياء أصحاب الامتيازات ودورهم في تموين الإرهاب"[3].

ومن هنا تتضح خطورة الكتابة وحرية التعبير في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر، فكلّ ما تعرض إليه ذياب لم يمنعه من مواصلة فضح الواقع ومعالجة قضاياه، بل واصل بكلّ جرأة وشجاعة وهذا ما يظهر في نهاية الرواية حينما نشر مقالاته حول رمز الفساد أمحمد أملمد يقول صالح الرصاصة:

---

[1] : سامي الوافي: المكون السردي في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي: ص 192

[2] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 159

[3] : المصدر نفسه، ص 177.

"وأعادتني الجازية إلى الواقع وهي تفتح أمامي جريدة الشروق اليومي وقد توسطها موضوع يعلوه عنوان بخط كبير:

"بارون التهريب والمخدرات

تصفحت عناوينه على عجل

أمحمد أملمد يتحايل على الضرائب

رشاوي مخدرات مغاربية.....

وقد ذيل الموضوع باسم كاتبه

م. ذياب"[1]

«ليكون هنا ذياب رغم غيابه صوت المجتمع الواجب عليه تقويم من حاد بقلمه ليرتدع من بعده ويستقيم»[2] ومن خلال مقالاته ساهم مع حارته في مكافحة الفساد فبرغم من غيابه عنهم إلاّ أنه كان يعمل من أجلهم، فكان الخيط الذي أوصل صوت الشعب المحتقر إلى أذان السلطة العليا، ومن هنا تتجلى أهمية المثقف ومكانته في مجتمعه.

في آخر الرواية يعود ذياب إلى الظهور، مشاركا أهل حارته وخطيبته الجازية في أخذ الثأر ومسح العار بقتل رمز الفساد أمحمد أملمد:

"ها ذياب يظهر بين الجمع فجأة. الشرف شرفي لن يقتله غيري، أنت فرحتي يا الجازية"[3]

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 213.

[2] : سامي الوافي: المكون السردي في راس المحنة لعز الدين جلاوجي، ص 192

[3] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 218

ومن هنا نستنتج أن ذياب هو رمز للعدل والوفاء ورمز لشاب الجزائري المخلص لوطنه، والكاتب اختار له مهنة الصحافة لأن هذه المهنة عانت كثيرا إبان العشرية السوداء. فذياب حضر هذه الرواية من خلال شخصيتين، الشخصية الأولى وهذه التي قمت بتحليلها، أمّا الثانية فهذه شخصية ذياب الهلالي، الذي كان يروي قصته في متن الرواية على لسان النساء، فشخصية ذياب الهلالي تشبه تماما شخصية ذياب بطل رواية المحنة.

✓ **سيّد معرفة:**

إنسان مثقف ومتعلم، أستاذ اللغة العربية، غير أن هذا المثقف كانت مساحته في المتن الروائي ضيقة عكس ذياب ومنير، فاسمه أكبر دليل على أنّه ذو علم ومعرفة، وبعد مهنة التعليم ارتقى إلى منصب مفتش التربية، يقول صالح الرصاصة عنه:

"وعرفت مفتش التعليم والتربية السيد معرفة رجل قض عمره يغتال الظلام من العقول وظل كل الذين حوله ينسجون له أكفانا من الظلام....."[1]

كما كانت تربطه علاقة بمنير، هذه الشخصية ما هي إلاّ نموذج للمثقف المنضبط الذي يخدم المجتمع إلاّ انه لا يجد أي مكانة وأي اعتبار في مجتمع تسيطر عليه أصحاب النفوذ و السلطة و السيد معرفة كباقي الشخصيات المثقفة لا تتركها رموز الفساد تشعل شمعتها، بل يقومون بإطفائها حتى يترك لهم هذا الوطن وحدهم يزرعونه جهلا، هكذا كان مصير السيد معرفة يقول منير: "تلك الليلة أخبرني أحد الجيران أن السيد معرفة مفتش التربية و التعليم قد اغتيل و هو خارج من إحدى الثانويات"[2].

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 60.

[2] : المصدر نفسه، ص 171.

ومن خلال هذه الشخصيات المثقفة، تتضح محنة أخرى و هي محنة أو غربة المثقف داخل وطنه، و كان الكاتب يطرح إشكالا لماذا هذا المثقف مهمش؟ لماذا لا تتركون أهل العلم و المعرفة يخدمون هذا الوطن؟ لماذا تطفئون النور؟ لماذا تشعلون الظّلام في كل زاوية من هذا الوطن؟ فكل هذه الإشكالات أراد أن يعالجها من خلال هذه الشخصيات.

بالإضافة إلى هؤلاء الشباب المثقفين، صورت الرواية فئة أخرى من الشباب لم تسمح لهم ظروف الحياة بمواصلة دراستهم و من بينهم:

✓ **عبد الرحيم:**

ابن عم صالح الرصاصة و أخ الجازية، شاب لم يتمكن من تحقيق أهدافه في واقع مزري، أراد ، أن يغير واقعه لكن نهايته كانت مأسوية.

عبد الرحيم صورة لشاب الجزائري البطال، فالكاتب من خلال هذه الشخصية عالج موضوع البطالة واثارها، كما أن عبد الرحيم شخصية سلبية، ظهر في الرواية متشاؤما كان فاقدًا للأمل، رافضا للواقع، وصلت به الأمور بالتفكير بالهجرة من وطنه الذي لم يوفر له شيئاً، هذه الشخصية كانت تعاني من قلق و إضراب حيث كان كثير الحوار الداخلي يتساؤل مع نفسه عن هذا الوضع، و عن هذا الواقع و منفذه الوحيد هو الحلم، الذي كان يراه هروبا من الواقع يقول: "من حقي ان احلم...والحمد لله ان الله خلقنا نحلم و إلا كانت الظامة...و الحمد لله أن حكامنا و اثرياءنا لا يملكون منعنا من الحلم"[1]

فعبد الرحيم مثل صورة الشباب الجزائري المهمش، لا عمل لهم، لا مستقبل و لذا يلجأون للهروب من الوطن، لكن عبد الرحيم لم يهرب و قرر أن يغير واقعه ووصل به الامر

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 65

ان يعمل في الحمام، المهم أن يحصل على لقمة عيش شريفة ويساعد والده، لكن حتى هذه المهنة لم يوفق فيها بسبب رمز الفساد أمحمد أملمد الذي ظلّ يسخر منه، وبعدها ساعده صديقه منير المثقف في الحصول على مهنة وهي الإلتحاق بصفوف الشرطة، ومن هنا إنتقل الكاتب مع هذه الشخصية في معالجة موضوع أخر.

وكما هو معروف أن الشرطة في التسعينات، كانت المستهدف الأوّل من قبل الجماعات الإرهابية ولذا إختار الكاتب هذه المهنة بالتحديد، ومع إلتحاقه بصفوف الشرطة بدت هذه الشخصية مستقرة إلاّ أن القدر والظروف والأوضاع شاءت دون ذلك لتكون نهاية عبد الرحيم القتل وبأبشع الطرق، في ليلة من الليالي ذهب مع زوجته وأخته الجازية لحفل في بيت أخته هجيرة رغم أن الكل كان سعيدا بالحفل إلاّ هو يقول: "كنت أجلس وحيدا أعاقر كأسا دهاقا من الصمت والحزن.....في جوف الفرفة.....كنت أحسّ بالقلق الشديد"[1]

لقد كان محقا في إحساسه، لأن المكان الذي كان فيه كان يوجد فيه عدّوه أمحمد أملمد، الذي كان يستفزه بقوله أن الشرطة يستحقون الذبح، وهذا ما جعل عبد الرحيم يغادر تلك الحفلة، وفي عودته إلى المدينة مع أخته وزوجته داهمتهم جماعة إرهابية ولما قاموا بتفتيشه وجدوا عنده مسدسا، لقد نجح الكاتب في تصوير هذا المشهد لدرجة يتبادر إلى ذهن القارئ وكأنه يشاهد فيلما سينيمائيا يقول عبد الرحيم: "لقد دخلنا الغابة وأحسسنا جميعا أن الصمت بدأ يثقل على أبداننا.....وأنّ قلوبنا قد ضاقت فاشتد خفقانها.....وأن أغصان أشجار السرو تتحول إلى أذرع أخطبوط تلفنا جميعا وتعصرنا في وحشيته .....رددت بين شفتي: استغفر الله العظيم لا إله إلا الله محمد رسول اللّه"[2].

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 122.

[2] : المصدر نفسه، ص 125.

فهذه العبارات توحي بالخوف الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري الذي كان ضحية، وكأن الكاتب يقول أن الفقراء والشرفاء هم من كانوا الضحية الأولى في هذا الوطن وفي مشهد مؤثر، يقول: "أنا أخوكم.....أقسم أنّني برئ.....أقسم أنّني لم أظلم أحدًا.....أنا فقير....."[1]

وهكذا كانت نهايته الموت بالقتل، لقد مرّت هذه الشخصية بصعوبات منذ الطفولة بداية بفصله من مقاعد الدراسة بسبب الفقر، وبعدها تحول لمتسكع في الشوارع وبعدها أصبح عاملا في الحمام، ليستقر بعد ذلك بالالتحاق بصفوف الشرطة، لينتهي به المطاق بالقتل من طرف الجماعات الإرهابية.

عبد الرحيم نموذج لشاب الجزائري المهمش داخل وطنه، كما أن هذه الشخصية صورت العنف والخوف الذي عاشه الشعب الجزائري، فما هو إلاّ نموذج للأبرياء الذين سفكت دماءهم في العشرية السوداء.

✓ **صلاح الدين:**

شخصية سلبية، لأنّه استسلم للواقع وزاده مرارة، فهو شاب من شباب الجزائر، لم تسمح له الحياة بأن يتعلم، فهو عكس عبد الرحيم، فكلاهما غير مثقفان إلاّ أن صلاح الدين عكسه لأنه مارس العنف على مجتمعه، بإلتحاقه للتيارات الفاسدة التي أدّت إلى زرع الرعب والخوف في الوطن، فهو صورة للشباب الغير واعي الذين تستغلهم رموز الفساد لقضاء مصالحهم، وفي نهاية المطاق ماهم إلى ضحية هذا الفساد لأن بمجرد قضاء مصالهم، يقتلونهم بدون تردّد، لأن بمجرد قضاء مصالحهم، يقتلونهم بدون تردّد، هذا هو حال صلاح الدين، الشاب الفقير، لا وعي له، لا ثقافة له، كل هذه الأمور انعكست عليه بالسلب وتمادّت هذه السلبية لمجتمعه، إذا

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ، ص 125

أصبح إرهابيا لا يرحم أحدًا، فعبد الرحيم هرب من الواقع بشيء إيجابي، أمّا هو هرب من الواقع بشيء سلبي فالكاتب من خلال هذه الشخصية حاول أن يعالج أثر الفقر والفساد على الفئات الغير واعية التي تعاني في مجتمعنا من الذّل والإحتقار والاغتراب والتهميش، فاختاروا الهروب إلى عالم الجحيم والظلام والضلال، عالم لا يعرف الرحمة، يشربون من دماء الأبرياء والشرفاء، هؤلاء الفئة يرون أنفسهم مجرد نكرة في المجتمع. فتنعكس سلوكاتهم على الأبرياء ويستغلونهم أصحاب المال والفساد ويجعلون منهم سلاحًا قويّا ضدّ الفئات المستضعفة، وفي الحقيقة هذه الفئات ما هي إلاّ ضحية الفقر والجهل.

صلاح الدين اسمه حمل تناقض، ففي الرواية لم يكن إنسان صالح، بل كان فاسدًا، لكن الكاتب تعمد لتسميته بهذا الإسم، فكما هو معروف أن الإرهاب يدّعون بالدّين وانهم جاءوا ليصلحوا دين الإسلام ويدافعون عنه وبهذا يتحولون إلى دعاة اسلام وهذا ما لاحظناه في الرواية، كيف أن هذه الفئة غيرت ملابسها، أصبحت ترتدي أقمصة تحلل وتحرم كما تشاء: "توقف الشاب الملتحي عن القراءة، خبأ مصحفه في جيبه، أخرج من حافظته شريطا وسلمه للسائق.....وإندفع منه صوت واعظ يكاد صوته يخرق الأذان.....معشر المسلمين والمسلمات بعدما تناولنا في الدرس السابق حكم الشرع في خروج المرأة وتعليمها وأكدنا بما لايدع مجالا للشك من كتاب الله وسنة نبيه أن المرأة لا تخرج إلاّ للضرورة القصوى وأن تعليمها لا يجوز أن يتجاوز ما تقيم به دينها لننتقل بحضراتكم اليوم إلى درس جديد.....هو عذاب القبر وما أدراك ما عذاب القبر"[1]

فإسم صلاح الدين كأن الكاتب يسخر من هذه الفئة كيف يصلحون الدّين وهم يقتلون ويذبّحون الأبرياء ؟

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 175

فصالح الدين هو من قتل عبد الرحيم، الذي يعتبر صهره وهذا يعني أن هؤولاء يقتلون بعضهم البعض، يقتلون فقط أهلهم وأمثالهم من الفقراء يقول والده عنه:

"عليك اللعنة يا صلاح الدين.....يا فاسد الدين لو لقيتك لذبحتك وشربت دمك كله.....كنت أنتظر منك أن تعزني حين تتقدم بي السّن فإذا أنت تذلني تقتل زوج أختك"[1]

وفي الأخير كانت نهايته الموت بأبشع الطرق، لقد ذبحوه بعدما إنتهوا من إستغلاله: ذبحوه كالخروف وفروا في أدغال الغابة"[2]

يقول عنه منير:

"اه يا صلاح الدين..... !!

حقيرة هي الطريق التي إخترتها.....

حقيرة هي هذه العاقبة"[3].

ويواصل قائلا:

"وحده الموت يفرح هذا البليد.....وحده الدم النازف يعزف له مواله.....جررت نفسي بعيدا بعيدا رأس صلاح الدين يتدحرج أمامي والبار عمر يدندن في أنني تتهادى نغمات شبابته ككتبان رملية: هذا وطنك والاّ جيت براني

يا راس المحنة لله كلمني

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 0=1+1، ص 133.
[2] : المصدر نفسه، ص 192.
[3] : المصدر نفسه، ص 192.

حر أنت وألاّ مملوك حطّاني"[1]

وبقتل صلاح الدين تتضح عدّة معاني، كأن الكاتب يقول أن هؤولاء الفئة الذي يطلق عليها اسم الإرهابي، ليست هي راس المحنة، بل هناك رؤوس أكبر وأعمق منها لا نعلمها هي سبب المحنة فصلاح الدين ما هو إلاّ ضحية لهؤولاء المجهولين والدليل عن ذلك أنّهم قتلوه بأبشع الطريق يقول منير عندما رأه مقتلولا:

"جثة شاب مضرج بدمة.....معفر اللحية.....مربوط القدمين.....مشقوق القميص.....مذبوح الرقبة حتى ليكاد الرأس ينفصل عن الجسد»[2].

✓ **عزوز الدود:**

شاب من شباب حارة الحفرة، إلاّ أنه ليس مثلهم فهو شخص مجنون لا عقل له، وبرغم من ذلك كان له دور إيجابي في الرواية، ، كان يردّد عبارة في الشوارع، هذه العبارة كانت متكررة في المتن الروائي: "إختلط الدود بالدود ولا يفكها إلاّ الخالق المعبود"[3] هذه العبارة توحي بمرارة الواقع، ولكن كيف لمجنون أن يعيّ ذلك؟

فالكاتب كأنه يقول أن العنف والقتل والواقع المزري أثر حتى على المجنون فالمجنون ليس له هدف في الحياة لأنه لا يعلم ما يجري فيها ولكن عزور كأنه كان يعي كل مايجري داخل وطنه، بل كان يدرك حيدّا أن هذا الواقع متأزم لدرجة يصعب حلّ هذه الأزمة إلاّ بمعجزة من عند الله، فهذا المجنون برغم جنونه كان له إيمان قوي بالله فأمله كان في الله وحده.

---

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ،192

[2] : المصدر نفسه، 192

[3] : المصدر نفسه، ص 113.

نلاحظ أنّه قال إختلط الدود بالدود؟ بمعنى الكلّ فاسد ولا يوجد من يفكر في هذا الوطن وبالتالي الله وحده القادر على حماية الوطن، فالقارئ هنا يكون في حيرة كيف لمجنون ان يفكر بهذه الطريقة؟ فالكاتب من خلال هذه الشخصية أراد ان يوضح فكرة هو أن الواقع الجزائري أنذاك كان واقعا متأزما لدرجة اثر حتى على المجنون.

كما ظهرت هذه الشخصية مغرمة وعاشقة لعبة الحلوة التي تعرضت للإغتصاب، فبعد رحيلها من الحارة لم ينساها وبقي مخلصا لها ووفيا، كل سكان حارة الحفرة كانوا يتذكرونها في صمت إلاّ هو كان يجهر في التفكير فيها، وكما السبق الذكر ان عبلة الحلوة هي رمز للوطن المجروح، وكأن الكاتب يقول أن المجانين وحدهم المخلصين لهذا الوطن، هؤولاء الأبرياء لا يعرفون الخبث فقلوبهم طاهرة وبالتالي هم الأوفياء لوطنهم. يقول عمي صالح عنه متحدثا مع صديقه الربيع:

"لست أدري نحن المجانين أم عزّوز الدود؟"[1]

وكان منير يتساءل:

"مجنون يحب، مالفرق بين الجنون والعشق؟

كلاهما جنون"[2]

فهذه الشخصية وضحت مدى صعوبة الواقع الذي عاشه المجتمع الجزائري الذي أثر حتى على المجنون، كما نلاحظ وفاء المجنون لمحبوبته وبالتالي وفاؤه لوطنه.

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 114.

[2] : المصدر نفسه، ص 194.

د- الشخصيات الضدية:

بعد عرض الشخصيات التي مثلت المحنة الوطنية، الا أن سأقوم بعرض الشخصيات التي خلقت الصراع مع الشخصيات الخيرة التي تعدّ حاجزا أمام تطلعات سكان حارة الحفرة، حيث قامت بالسيطرة عليهم ومن بين هذه الشخصيات:

✓ **أمحمد املمد:**

شخصية أساسية، مثل القوي، المعارضة للخير فهو إبن الحركي دوره كان سلبي لأنّه كان يرمز للفساد والسلطة والاستغلال، كما أنّه شخصية تحمل الكثير من الحقد والكراهية ظهر وكأنه يعاني من اضطراب نفسي، فحقده يرجع إلى زمن الثورة التحريرية عندما قتل المجاهدون والده لأنه كان خائن للوطن (حركي)، بعد الاستقلال حاول الإنتقام منهم بماله و سلطته ونفوذه فقام باغتصاب عبلة الحلوة وهذا ما يدّل على اغتصاب الوطن، قام بسجن المثقف منير وبالتالي خنق لهوية المثقف وللثقافة بحدّ ذاتها، قتل عزيز الذي كشف حقيقته لمنير، كان يتاجر في المخدرات.....كما أراد الزواج بالجازية لكنه فشل في هذا الأمر.

كل هذه الجرائم التي قام بها إلاّ أنه كانا يتظاهر أنه يفعل الخير ويساعد الناس، بل زار حتى البقاع المقدسة وهذا ما يوحي أنّه شخص خبيث، منافق يتحايل على الناس يقول: "أنا خلقت لأملك فسحب ! بل خلقت لأقود الناس وأتزعمهم وهذه سنة الله"[1]

ويضيف: "وماذا يحتاج الزعيم ليس للشبهادات العلمية كما يتوقع بعض الأغبياء، بل المال والفطنة"[2]. هذا ما يدّل على أنه انسان جاهل لا مستوى له، لكنّه موجود في السلطة؟

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 164.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فالكاتب من خلال هذه الشخصية أراد أن يعالج فكرة والمتمثلة بأن أثار الاستعمار الفرنسي لا زالت موجودة داخل المجتمع الجزائري وبالتالي لم نستقل تمام الاستقلال من هذا المستعمر ما زالت اثارة مغروسة في كلّ شبر من هذا الوطن، فمحمد أملمد يحمل حقدا كبيرا على المجتمع الجزائري وخاصة المجاهدين الأوفياء لأنهم قتلوا والده، فحاول الإنتقام منهم، حيث كانت له علاقة حتى مع الجماعات الإرهابية، ومن هنا نستنتج أن الكاتب كان يلمح أن راس المحنة في الجزائر هي فرنسا التي وما تركته من أحقاد بين أبناء الوطن الجزائري، فرنسا التي استغلت بعض الجزائريين الضعفاء الشخصية من أجل تحقيق مصالحها هاهي الآن تستغل أبناءهم في زمن الاستقلال بسبب ما خلقته من كراهية بين أبناء الوطن، حتى جعلتهم يقتلون بعضهم البعض هذا هو الإشكال الذي طرحه الكاتب في عنوان الرواية، "راس المحنة 0=1+1"، أي أننّا خرجنا من استعمار وبعدها دخلنا في عشرية سوداء بالتالي نحن في واقع معادلته تساوي صفر.

فالحقد الذي ظهر فيه أمحمد أملمد سببه فرنسا التي خلقت صراعا جديدا بين أبناء الوطن، مجاهدين، أبناء الحركة أو الحركة بحدّ ذاتهم، يقول منير متحدثا عن حقد امحمد ،"وحده الموت يفرح هذا البليد.....وحده الدم النازف يعزف له مواله "[1]. فكيف للإنسان حقود مثله، جاهل يتواجد في السلطة ويسير أمور المجتمع؟

هذه الشخصية تحمل تناقضا، هامش زمن الثورة، مركز زمن الاستقلال، فرغم خيانته لوطنه إلاّ أنه يتواجد في المركز، في الأخير كانت نهايته الموت عن طريق القتل، فبعدما زاد طغيانه على سكان حارة الحفرة حتى وصل به الأمر هدم بيوتهم وترحيلهم إلى منطقة أخرى، فحاولو أن يتحاوروا معه وجربوا معه كل الطرق، لكنه لم يتراجع وزاد في ظلمه ماجعل الجازية تقرّر أن تقتله حتى يرتاحو منه، فالجازية كما سبق الذكر كانت رمزا للجزائر، وكأن

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 192

الكاتب يقول أن الجزائر وحدها تنتقم لأبنائها، وهذا ما فعلته الجازية قتلته إنتقام لها ولأهل الحارة: "تشحدين الخنجر..... تدفعينه نحو القلب.....تغرسينه فيه.....يتهاوى نحوك جثة هامدة"[1]. وكأن الكاتب يقول أن هؤولاء الخونة لا ينفع معهم شيء، لا الحوار، لا القانون الذي امتلكوه بأموالهم، القتل وحده قادر على التخلص منهم، فحقد هؤولاء وطغيانهم ليس له نهاية وبالتالي لن يتوقفوا من إلحاق الضرر لهذا الوطن ولهذا وجب قتلهم، الموت وحده كفيل لوضع الحدّ لهؤولاء الخونة.

✓ **مدير المشفى:**

نموذج أخر للسلطة الظالمة والفاسدة، مثل فساد الإدارة الجزائرية، كما أنّه جسد ذوات الصراع مع الشخصيات الخيّرة وكان بمثابة حاجز أمام تطلعهاتها، فهو عيّنة من المجتمع الدال على سوء التسيير الإداري يقول عنه صالح الرصاصة:

"مديرنا إنسان وطني ضرب الرقم القياسي في إحترام وقت عمله.....يدخل لمكتبه بعد العاشرة يتصفح الجرائد التي تشترى على حساب المشفى.....يوقع الوثائق.....ويخرج"[2]

فبرغم من فساد هذه الشخصية إلاّ أنه ارتقى إلى منصب الوزير: "من معهد الميكانيك إلى مدير المشفى إلى مستشار بالوزارة إلى الوزير للتخطيط والعمران"[3]

كما ظهر في خطاب ألقاه عندما نصب وزيرا وكان خطابه في قمة الرداءة يقول:

---

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 192

[2] : المصدر نفسه، ص 30

[3] : المصدر نفسه، ص 142.

"أما منا عمل بزاف ومشاكل قد الجبال parce que وزارتنا trsèc important important لازم نخطط ونشيد عمرانات باش نقضي على مشكل السكن الخطير ونسهل ل les rabitant البسطاء السكن ولو بالأديان. وارتفع صوت أحد الصحفيين مصححا بالديون"[1].

فهذه الشخصية جسدت صورة المسؤول الانتهازي والحكم الفاسد الذي أدّى بالوطن إلى الانحطاط والتخلف.كانت هذه الشخصيات التي تطرقت إليها من أهم الشخصيات التي عالج من خلالها الكاتب مواضيع حساسة ومشاكل المجتمع الجزائري أنذاك، فنقلت لنا الصورة الحية لشعب الجزائري، حيث تمكنت من اقتباس الواقع، فعبرت بكّل صدق عن محنتها. وبالإضافة إلى هذه الشخصيات الأساسية، وجدنا في هذه الرواية شخصيات أخرى ثانوية لكنّها مثلت صورت المجتمع الجزائري، وعالج الكاتب من خلالها مواضيع كثيرة كشخصية "الشيخ الهاشهي"، من خلاله تطرق الكاتب للحديث عن مشكل التزوح الريفي في التسعينيات هروبا من الإرهاب، و"السعيد" و "الربيع"، صديقي عمي صالح الرصاصة في زمن الثورة، فمثلا صوت الماضي في الرواية، كما ركز الكاتب من خلالهما على علاقتهما بعمي صالح، فكانوا بمثابة الذكرى في الزمن الماضي الذي كان يتحسّر عليه صالح الرصاصة، وغيرها من الشخصيات الثانوية. وما يلفت الإنتباه هو ظهور "شخصية جامدة"، كانت مساحتها ضيقة جدًا، فتجلت في جزء قصير من المتن الروائي، والمتمثلة في "كرسي"، كأنها مجرد فكرة أراد الكاتب أن يطرحها في روايته، فالكرسي ماهو إلاّ رمز للسلطة والصراع الذي ينجم من أجل الوصول إلى هذا الكرسي يقول:

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ، ص 142

"اسمي....اه تبحثون عن اسمي؟؟.....ماذا لو قلت لكم أنا اسمي كرسي.....نعم كرسي؟.....ما هو.....رأيتموه؟؟ نعم أنا كرسي.....أربع قوائم ..... مقعد. .....متكأ.....وفقط.....لوحتان عريضتان.....وأربع لوحات طوال....."[1]

في الأخير نستنتج من خلال هذه الشخصيات أنها تجمع تناقضات المجتمع الجزائري، كما أنها تحمل خلفيات ترجع إلى زمن الثورة التحريرية التي أدت إلى تصنيف أبناء الوطن من مخلصين وطنيين إلى خونة متواطئين مع أعداء الوطن، إلى إنتهازين يصطادون في الظلمات، كما أن هذه الشخصيات وضحت أن سبب المحنة التي عاشها الجزائريون، ليس لشعب يد فيها، بل جهات ضبابية كانت تدفع المجتمع للعنف. فالكاتب عز الدين جلاوجي كان جريئ بأسلوبه الرمزي في تقديم الشخصيات، «فقدم شخوصه وحركها بطريقة لا يبرزون فيها كأشياء، بل كواقع متحرك قد يذوب البطل الفردي فيها، لكن هذا الذوبان ذوبان إجتماعي في روح الجماعة، والتي مثلها سكان حارة الحفرة الذين أسهموا في صنع الدلالة إسهاما فعالا، لتقوم بحركة نجم عنها احتكاكات عديدة قدمت لنا نموذج بالغ القسوة ممثلا في حالة حارة الحفرة التي صوّرت من خلالها التشوهات المادية والروحية لإنسان مابعد الاستقلال»[2]

فهذه الشخصيات عالج من خلالها الكاتب مواضيع حساسة لها علاقة بالسيلسة، الثقافة، المجتمع، الدين، الاقتصاد، الأخلاق.

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ، ص 52.

[2] : سامي الوافي: المكون السردي في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، ص 200.

3. الإطار المكاني لرواية راس المحنة 1+1=0:

يحظى المكان في الرواية أهمية كبيرة، لأنه فضاء يحتوي على جميع العناصر الروائية كالشخصيات والأحداث، فهو يساعد على تطوير بناء الرواية، فالمكان في الرواية ليس هو المكان في الواقع الخارجي بل هو عنصر من عناصرها الفنية، «ولهذا يلعب دورًا مركزيا داخل منظومة الحكي، لأن الحدث الروائي لا يمكن أن يتم في الفراغ، بل لابدّ من مكان يقع فيه، كي لا يأخذ مصداقية، وتتم عملية تبليغه بنوع من المصداقية إلى الملتقى، ولكون النص الروائي يتسم بتنوع الأحداث وتغيرها، يقتضي هذا الأمر تعدد الأماكن، وتنوع تجلياتها حسب التيمات التي تتوإلى في الحكاية»[1]، فمثلا إنتقال البطل من مكان إلى اخر يهيئ القارئ لظهور أحداث جديدة، أمّا المكان الجميل فيوحي بالسعادة والطمأنينية، فالمكان الروائي ليس مجرد فضاء جغرافي، بل هو «مكان تخييلي، قائم بذاته، صنعته اللغة لأغراض التخييل الروائي، يبنى لأداء وظائف تخييلية على المستوى البنائي كالتفضي، وذلك بخلق علاقات تجاور مع الأماكن الأخرى، والإسهام في تشكيل الفضاء الروائي، وفي خلق المعنى، وعلى المستوى الدلالي بتوظيفه توظيفا دلاُ، لإضفاء الدلالة على الحكاية»[2].

فالمكان له اهمية كبيرة في الرواية، بما يحمله من دلالة عميقة تؤدي إلى خلق معنى، ولهذا حضي باهتمام كبير من طرف الروائيين الذين يقومون باختيار الأماكن المناسبة للأحداث.

إن المكان في الرواية لا يقل اهمية عن العناصر الأخرى المكوّنة لها فهو يساهم في تطور أحداث الرواية وبنائها. «وتقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من الحسوسات قد

[1] : أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ص 127

[2] : المرجع نفسه، ص 130-131.

تطابق عالم الواقع وقد تخالفه، في صور ولوحات تستمد بعض أصولها من فن الرسم والتصوير»[1].

للمكان أهمية كبيرة في رواية "راس المحنة 1+1=0"، فحضرالمكان بنوعين: أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة.

أ- الأماكن المفتوحة:

إن الأماكن المفتوحة توحي بحرية الإنسان وتساعده في القدرة على الحركة والانتقال والبحث، وفي رواية راس المحنة، نجد الأماكن المفتوحة مختلفة من حيث دلالتها ومن أهم هذه الأماكن:

✓ **المدينة:**

المدينة في "راس المحنة"، هي مدينة تحمل دلالة سلبية، بما فيها من سلب للقيم النبيلة، فهي مكان للخوف والفساد، فهي رمز للمعاناة، فهي عالم ملوث، حيث اصطلح عليها باسم "التابوت"، فالتابوت هو الذي يوضع فيه الميّت، وكأنّ الكاتب يقول أن المدينة مكان فيه قتل وعنف ورعب ولذا اصطلح عليها بالتابوت.

وركز الكاتب في علاقة الشخصيات بهذا المكان، خاصة "صالح الرصاصة"، الذي كان نافرًا للمدينة، يحسّ بالضياع في داخلها يقول: "أنا خوّاف.....أخاف المدينة.....المدينة عاهرة فاجرة ستفسدني.....تبدّلني..... تغيرني....."[2].

---

[1] : سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقاربة في «ثلاثية» نجيب محفوظ سلسلة أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984م، ص 127.

[2] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 21.

فأطلق عليها العديد من الأوصاف السلبية، التي تعبر عن موقفه من هذا المكان:

"هذه المدينة عاهرة شمطاء"[1]

"كرهت النفاق يا مدينة النفاق"[2]

"المدينة كابوس يجثم على صدورنا.....والأجواء فيها مكهربة والجرائد لا تطل على الناس إلاّ بالفجائع .....لقد تغيرت طباع الناس كثيرا.....وإشتد بينهم التنافر والتناجر.....وانكب أكثرهم يلهث خلف الدنيا ولو مقابل أرواح الأبرياء.....ولو مقابل عزّة هذا الوطن"[3].

فصالح يرفض الانتماء للمدينة فهي في نظرة مكان مظلم لغياب جميع القيم والمبادئ الانسانية فيها.

فالمدينة في رواية هي فضاء يحمل تناقضات بعضها إيجابي، وبعضها سلبي، فالإيجابي يتجلى فيه توفير مناصب العمل وتوفير سبل العيش وبناء علاقة اجتماعية، ومقابل هذا تحمل المدينة معاناة وألام من خلال إشتداد الصراع والتنافس بين أفراد المجتمع مما يؤدي باللاّ أمن واللاّ إستقرار.

فالمدينة فضاء جغرافي مفتوح، تجمع بين عدّة أشخاص، لكن الروائي لم يذكر اسم هذه المدينة، فقط ذكر انها مدينة من ولاية سطيف، لكن لم يحدد لها إسم، ما يجعل القارئ يتصور انها مثال لكلّ المدن الجزائرية. فالمدينة في "راس المحنة"، رمز للآلام والأحزان، الموت، الرعب، القتل أي أنّها رمز للضياع.

---

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 21.

[2] : المصدر نفسه، ص 43.

[3] : المصدر نفسه، 48.

✓ **القرية:**

تعتبر القرية فضاء جغرافيا لها حدودها التي تفصلها عن القرى والمدن المجاورة، وردت القرية في رواية "راس المحنة"، لدلالة على الأمن والاستقرار والنقاء، السعادة، فهي رمز للعالم الهادئ، البعيد عن القيم الرذيلة. عمي صالح الرصاصة كانت تربطه علاقة وطيدة بقريته التي عشقها إلى حدّ الجنون، كانت بمثابة الصفاء والنقاء له، كان يراها مكانا بريئا، خالي من الغدر والخيانة يقول:

"هنا في القرية لا يخشى أحدنا إلاّ ربه....."[1]

ويضيف:

"كان الجبل يفتح ذراعيه كالعاشق الولهان يضم قريتنا قننام في حصنه في وله شديد ....."[2]

"القرية.....اه القرية.....خيل إليّ انها في فستان فرحها تفتح لي ذراعيها وتحرضني على الارتماء في حضنها الدافئ.....و أطلقت ساقي للريح.....القرية.....القرية"[3]

فالقرية هي مكان للسكينة والهدوء والراحة لا وجود للخوف فيها، فهي رمز لعالم الصفاء والنقاء.

ويتضح من خلال هذين المكانين (المدينة،القرية)،أن الروائي قام بالمقارنة بينهما، فهناك علاقة توتر ومفارقة على مستوى هذين المكانين، ويتوسط بينها صالح الرصاصة بعشقه للقرية

[1] : عز الدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0، ص 198.
[2] : المصدر نفسه، ص 17.
[3] : المصدر نفسه، ص 45.

ورفضه للمدينة والفشل في الاندماج فيها، وتتجلى هذه المفارقة والمقابلة في جملة واضحة تبين هذه المفارقة بين فضاءين مختلفين:

"هابيل هنا (القرية) يزرع الحياة.....

قابيل هناك (المدينة) يزرع الموت....."[1]

ومن هنا تتضح دلالة هذين المكانين، فالقرية توحي بالأمان والاستقرار، المدينة توحي بالفساد والرعب والقتل تقول الجازية عن والدها صالح لما عاد هاربا من المدينة إلى القرية:

"أيجد والدي في هذه القرية الواعدة عوضا عن أمه التي فقدها وهو صبي؟ وفي حضنها ودفئها وسماحتها عوضا عما حرم منه صبي؟ او عوضا عن الزوج؟ أم عرضا عن الوطن"[2]

وتضيف واصفة اجواء القرية:

"السكون يعرش في كل مكان.....

عناية فائقة ظهرت فيه.....

فرح في الترية.....

سمفونية يعزفها كل شبر"[3]

فالروائي عقد مقارنة بين مكانين داخل رقعة جغرافية واحدة، فالقرية والمدينة كلاهما ينتميان للوطن الجزائري، إلاّ انهما مختلفان من حيث الدلالة.

---

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ، ص 197.

[2] : المصدر نفسه، ص 196.

[3] : المصدر نفسه، ص 197.

✓ **الحارة:**

هذه الحارة ما هي إلاّ نموذج لباقي الحارات في الجزائر التي تعيش على حافة الحياة، سكانها مهمشون، كل فرد يعيش بداخلها يعاني من محنة، فهذا المكان صوّره الروائي في حالة توتر وصراع وقلق، وهذا واضح من خلال تسميته بالحفرة، فهذه التسمية توضح مدى صعوبة الواقع المعاش في هذا المكان يقول: " لماذا هي حفرة وليست ربوة"[1].

حارة الحفرة مكانا يعمه الفقر والخراب، مشاكله غير منتهية، فكل فرد يعيش فيها يعاني من أوضاع مزرية:

"وتحولت الحارة إلى سجن كبير.....زنزانة مرعبة يفر منها قاطنوها نهارًا ولا يعودون إليها إلاّ والليل الحالك يستر كآبتها"[2]

ويواصل قائلا:

"بدأت الشمس تمد خيوطها على حارة الحفرة حزينة كئيبة"[3].

فهذه الحارة صورها الروائي في صورة مليئة بالحزن، والآلام لما تشهده من أوضاع غير مستقرة، جعلت سكانها ينغمسون في الرذيلة، فأصبحوا عرضة لمختلف الآفات الاجتماعية، وهذا راجع إلى إغفال السلطات لمشاكلها يقول: "حارة الحفرة جبانة مغلقة الأبواب تتمدد مسجاة في تابوت الليل"[4].

---

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ،ص 180.

[2] : المصدر نفسه، ص 101.

[3] : المصدر نفسه، ص 121.

[4] : المصدر نفسه، ص 217.

في نهاية الرواية إستطاعت حارة الحفرة ان تتذوق طعم الحياة وتحولت إلى حارة الربوة، فبعدما قتلت الجازية امحمد املمد استطاعت هذه الحارة الخروج من الهامش والانتقال إلى المركز، بعدما قضوا سكانها على رمز الفساد:

"تصفق حارة الحفرة، جدرانها، شوارعها، أتربتها"[1]

ويضيف:

"وحين أشرقت شمس الصباح كان الجميع يشاركون في عيد حارة الربوة"[2]

فالكاتب في خلال تصويره وعرضه لهذا المكان، كأنه كان ينقد السلطات لتهميشها لهذا الوطن الجميل الذي جعلوها حفرة يعيش سكانها في ظلام دائم، فحارة الحفرة ماهي إلاّ مثال لكلّ الحارات الجزائرية المهمشة، التي يعيش سكانها على حافلة الحياة، الأمر الذي جعلهم يلجأون لطرق أخرى من أجل الهروب من هذا المكان المظلم الذي يوحي بالتعاسة والقلق.

كما أن هذه الحارة تصور لنا وضع فئة إجتماعية معنية من المجتمع الجزائري، ألاّ وهي الأحياء الشعبية الفقيرة، ومدى معاناة هؤلاء الفئة، فكان بعضهم ضحية لهذا الوضع المزري.

فالكاتب صور هذه الحارة على أنّها ظلام لا نور فيه، فرغم مساحته الواسعة إلاّ أنّها ظهرت وكأنّها سجن مغلق مظلم، فكلّ شخصية تعيش في هذه الحارة، تعاني من حالة نفسية مزرية، فكان هذا المكان بالنسبة لهم سجن وخراب لا أمل فيه، وبالتالي كانت دلالة هذا المكان ضيقة من حيث الحالة النفسية لشخصيات. فكان بمثابة قيد لكل طموحاتهم وأحلامهم.

[1] : عزالدين جلاوجي راس المحنة 1+1=0 ، ص 219.
[2] : المصدر نفسه، ص 220.

ب- الأمكان المغلق:

للمكان المغلق أهمية كبيرة في الرواية وتطور أحداثها فهو مكان مساحته محددة قد يوحي بالراحة والطمأنينة إذا كان الشخص يعيشوا حياة مستقرة بداخله، وقد يوحي بالقلق والتوتر إن لم يكن مستقرا فيه، ولهذا له تأثير كبيرًا في حياة الإنسان، حيث ينطوي فيه ليبعث في الراحة أو العكس، ومن بين الأماكن المغلقة في رواية "راس المحنة":

✓ **المشفى:**

هو مكان يقدم فيه الخدمات الانسانية، أي أنّه مكان تتجلى فيه كل المبادئ والأخلاق الشريفة، إلاّ أن صورته في الرواية جاءت بشكل مغاير مناقض لكلّ ما يحمله من أمان وراحة، حيث صوره الكاتب في صورة سلبية، فكان فضاءًا للاستغلال والفساد على حساب المرضى البسطاء يقول صالح الرصاصة:

"تذكرت الإشاعة التي دارت في المشفى.....قناطير من الأدوية لم تعد صالحة والمدير وجماعته في حرج من زيادة الوزير"[1].

فالمشفى في هذه الرواية نموذج لسوء التسيير وغياب القيم الانسانية وبذلك تحول من مكان لجلب الراحة إلى مكان للقسوة والمأساة، بسبب سيطرة أصحاب النفوذ وأصحاب المناصب العليا.

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 44

✓ **البيت:**

يعد البيت من بين الأماكن المغلقة التي توحي بمعنيين متناقضين فتارة يدل على معنى الراحة باعتباره ملجأ يلجأ إليه الإنسان في حالة الشعور بالتعب وتارة يعبر عن الشقاء إذا لم يجد الإنسان راحته فيه. وبخصوص الرواية "راس المحنة" لم تقتصر على بيت واحد وإنّما تنوعت البيوت المذكورة في الرواية: بيت صالح، بيت منير، بيت أمحمد أملمد.....لقد شغل البيت حيزا مهما في حياة الشخصيات، فكان ملجأهم الوحيد للهروب من الواقع، فكان بمثابة مصدرً للراحة، وفيه كان يسترجع كل واحد منهم ذكرياته، يقول صالح الرصاصة:

"انطلقت إلى المترل.....كنت في حاجة إلى راحة نفسية وجسدية"[1].

فصالح الرصاصة لم يجد راحته إلى في بيته، لم يكن يطيق أي مكان، فكل الأماكن كان يراها ظالمة نظرًا لقساوة الواقع، أمّا منير فالبيت بالنسبة له لا يمثل الراحة له فقط، وإنّما البيت يمتل له الهروب من الحاضر إلى الماضي، فكان يسترجع ذكرياته أيام الطفولة برفقة جدته يقول:

"عدت مباشرة إلى بيتي يشنقني اليأس.....دخلت الحجرة الأرضية..... وقفت وسطها متأملا.....منذ أن رحلت نانا عن الفانية وأنا أنظر إليها نظرة قداسة أحاول أن أترك كل شيء مكانه كما تركته بالضبط..... الموقد .....حلقات النول المثبتة بالجدار.....الصندوق الخشبي المنقوش..... الهيدورة البيضاء.....زربية الصلاة.....والإطار الخشبي الذي يحمل صورتها وزوجها الشهيد"[2].

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 139

[2] : المصدر نفسه، ص 186.

✓ **السجن:**

يعدّ السجن فضاءً مغلق بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، فهو مكان إجباري، مساحته محدّدة، فهو فضاء ضيق، فالسجن له دلالة سلبية لكونه يمنع الخروج منه، فلا يسمح بتجاوز حدوده، مايجعل الإنسان الموجود فيه يحسّ بالقلق والخوف، الضياع والعجز، فهو يعبر عن الظلم والقهر.

السجن مكان يقيد حرية الإنسان ويعزله عن العالم الخاجي ويشيل حركته، ولذلك هو مكان قاتل للنّفس، يحمل معنى الدمار والمعاناة.

وبخصوص رواية "راس المحنة"، وردّ السجن بصورة مغايرة لما هو في الحقيقة، فهذا المكان دخله الأبرياء، في حين أنّ المجرمين لم يدخلوه بسبب سلطتهم ونفوذهم فالسجن صوره الروائي في حدث إعتقال المثقف منير وسجنه بدون سبب، لإقصاء دوره في الحياة، فمكانه المثقف ودوره في المجتمع، يشكل خطورة لأصحاب الفساد لذا يقومون بسجنهم وعزلهم عن المجتمع، ليواصلوا فسادهم يقول منير واصفا هذا المكان:

"درت على نفسي في ذلك المكان الضيق.....متر ونصف على مترين..... أرضية مبلطة.....جدران متسخة.....عليها كتابات.....وأثار المحجوزين مروا من هنا.....مجرمون أم أبرياء شرفاء؟ لست أدري.....قضبان حددية تقف كجنود منضبطين بصرامة"[1].

فالسجن في هذه الرواية عبر عن أزمة المثقف وغياب العدل وتفشي الظلم، كما يعبر عن تقييد حرية الرأي والتفكير، فمفهومه جاء مناقضا للواقع.

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 147

4. الإطار الزماني في رواية "راس المحنة0=1+1 "

الزمن هذا الذي نحس بمرور ساعاته وأيامه وشهوره وسنواته، تاره يبدو بطيئًا، وتارة أخرى يبدو سريعا، لقد إحتل مكانة واسعة في كل الأعمال الأدبية التي اهتمت به، فقد تناوله الأدباء والروائيون، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وتعدّ الرواية من أكثر الأجناس استقطابا الفعل الزمن، فقد إهتم الباحثون والنقاد به، «وتأتي أهمية دراسة الزمن في السرد من كون هذا النوع من البحث يفيد في التعرف على القرائن التي تدلنا على كيفية إشتغال االزمن في العمل الأدبي»[1]، فلا يمكن أن يكون هناك نص سردي بدون وجود "الزمن"، فهو بمثابة الخيط الذي يجمع كل العناصر السردية. «فكأن الزمن خيوط ممزقة، أو خيوط مطروحة في الطريق، غير دالة ولا نافعة، ولا تحمل أي معنى من معاني الحياة ن،فبمقدار ما هي متراكبة بقدر ما هي غير مجدية، وإنّما الحدث السردي،الفعل السردي ،الأحدوثة المروية او المحكية هي التي تبعث فيها الحياة»[2].

فالبناء الروائي يرتبط ارتباط وثيقا بمعالجة الكاتب لعنصر الزمن «لأن الزمن يحدد إلى حدّ بعيد طبيعة الرواية ويشكلها، وهذا يعني أنه يساهم في خلق المعنى، لما يصبح محددًا أوليّا للمادة الحكائية، وقد يحوله الروائي إلى أداة للتعبيرعن موقف الشحصية الروائية من العالم ، فيمكنّها من الكشف عن مستوى وعيها بالوجود اللذاتي و المجتمعتين، وبهذه الأهمية يجسد الزمن حقيقة أأبعد ممن حقيقته اللاّمرئية»[3].

---

[1] : حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1990،01،ص113

[2] : عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية (البحث في تقنيات السرد) ص من 177 إلى 178.

[3] : أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص 233

كما أنّ تقاطع وتداخل الأزمنة في الرواية، يساهم في خلق الحركة داخل النّص، فيلجأ الروائي عن طريق السرد إلى الحاضر، ويعود بنا إلى الماضي عن طريق الاستذكار ومن خلال الأحلام والطموحات يعطي لنا نظرة حول المستقبل هذه هي الأزمنة المعروفة التي يوظفها الروائي في نصه، لكن الروايات الحديثة والمعاصرة وحتى الدراسات النقدية تجاوزت هذه الدراسة المعروفة للزمن، وظهر ما يعرف "بالزمن النفسي" كما صنف النقاد الزمن إلى ثلاثة أصناف: زمن الحكاية، زمن الكتابة، زمن القراءة.

«ولذا لم يعد الزمن مجرّد خيط وهمي يربط الأحداث بعضها ببعض، ويأسس لعلاقات الشخصيات ببعضها مع بعض، ويظاهر اللغة أن تتخذ موقعها في إطار السيرورة، ولكنه إغتد أعظم من ذلك شأنا، وأخطر من ذلك ديدانًا، إذ أصبح الروائيون الكبار يعنتون أنفسهم أشدّ الإعنات في اللعب بالزمن»[1]، فالزمن لم يعد زمن واحد فهو مجموعة من الأزمنة تشكل جمالية بنية النص السردي، فهو «حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على العناصر الأخرى»[2].

لقد تنوّعت الأزمنة وتدخلت في ما بينها في رواية "راس المحنة" وقد ساعد الزمن المبدع في نقل أحداث هذه الرواية للقارئ، وهنا يتجلى لنا الزمن من عتبة النص فعنوان الرواية "راس المحنة 0=1+1" هذه العملية الحسابية الخاطئة مثلت لنا زمانين، فنحن من البداية مع موضوع الزمن، فواحد(1) الأول يعني زمن الثورة التحريرية أما واحد(1) الثاني يعني به الكاتب الحاضر والمتمثل في العشرية السوداء، وكأن 1 من خلال هذا التقسيم:

[1] : عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (البحث في تقنيات السرد) ص193

[2] : سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقاربة في "ثلاثية نجيب محفوظ" ص 38.

أ- الماضي:

الماضي في الرواية تمثل بدرجة كبيرة في زمن الثورة التحريرية وبدرجة أقل، زمن الطفولة، وأيضا بعض فترات الزمن العربي الإسلامي.

فمن خلال إحدى الشخصيات التي توّلت مهمة الحكي حضر الماضي، لكن هذا الماضي حضر في صورة إيجابية، فكان زمن الصدق والإخلاص والوفاء، فلم يكن زمنًا عادي، بل كان تاريخا، فلقد شهد أعظم ثورة وهي الثورة التحريرية الجزائرية، وبرز الماضي من خلال شخصية صالح الرصاصة، فالماضي بانسبة له شيء مقدّس، مثل له المركز عكس الحاضر وجد نفسه في الهامش يقول:

«كل شيء جميل ورائع، ليس هناك مكان لنقاق والخديمة ولا لزيف والمكر..... قلب واحد لما ثرنا ضدّ المحتل»[1]

فأمام تعفن الحاضر، يجد نفسه مرغمًا على الارتماء في أحضان الماضي والاحتماء به، فقدم لنا صالح صورة جميلة عن الماضي الذي حمل كل معاني الوفاء والتعاون والمشاركة من أجل تحرير الوطن من المستعمر.

ويحضر الماضي كذلك من خلال شخصية منير المثقف، فتعاسة الحاضر جعلته يلجأ للماضي كمصدر لراحته وهروبا من الراهن، فماضيه تمثل في أيام الطفولة رفقة جدية الذي كان يلقبها بنانا يقول:

«كانت نانّا تلح في الحضور على ذهني، وهي تضمني تحت شالها الأبيض»[2]

---

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 14

[2] : المصدر نفسه، ص 93.

الكاتب يقوم بعملية مقارنة بين كلاّ الزمنين فالماضي (الثورة التحريرية) و(الحاضر) أخذا مساحة واسعة من الرواية بالإضافة إلى أزمنة أخرى لعبت دورها في سرد الأحداث، وتتجلى الأزمنة في رواية راس المحنة ويضيف:

«وبّت أحلم بنّانّا وأيام الطفولة والبراءة والنّقاء»[1]

ويضيف قائلاً:

«وقد عادت بي الذكري لأيام الطفولة الرائعة بروعة نّانا.....نانا.....اه يا دفئ نانّا.....يا عش نّانّا.....يا حضنها.....يا صدرها.....»[2]

فمنير كلّما أحسّ بالضياع يرجع للماضي ليحتمي به، فكان دائما يردّد هذه العبارة: "إيه يا زمان نّانّا، فهذه العبارة تكررت بكثرة في الرواية، هذا مايدّل على عبثية الراهن الذي يجعل الإنسان يهرب منه.

أمّا، محمد، ملمد فالماضي بالنسبة له ماضي سيئ وهذا بسبب مقتل والده الحركي على يد المجاهديقول: «لم تشأ صورة جثة أبي تمحي من شاشة ذاكرتي..... بل كانت تتضاغف في كل لحظة.....أفزعتني الصورة غطيت عيني بيدي..... فكيف أغطي ذاكرتي الجريحة»[3]

فمنير أحيانا يعود بذاكرته لأيام الطفولة، وأحيانا كان يسترجع ماضي الوطن العربي والإسلامي يقول:

---

[1] : عز الدين جلاوجي را س المحنة1+1=0 ، ص173

[2] : المصدر نفسه، ص 95.

[3] : المصدر نفسه، ص 79.

«وتذكرت البذرة الأولى في الحكم العربي حين أعلن أبو بكر الصديق الخليفة الأول في رعيته جميعا إذا رأيتموني على باطل فقومني.....فيقول له عمر: واللّه لو رأينا فيك باطلا لقو مناك بجد سيوفنا فيفرح الخليفة أن وجد في شعبه من يجرؤ على ذلك»[1]. وبهذا حضر الماضي في الرواية في صورة إيجابية، فكان رمزًا للصفاء والنّقاء.

ب-الحاضر:

إن زمن الحاضر في هذه الرواية يمثل نقطة ارتكاز والبداية، كما تجلى الحاضر في صورة سلبية لما سببه من معاناة وألام للشخصيات التي كانت دائما تنفر منه يقول صالح الرصاصة عندما ذهب ليزور قبور الشهداء: «أنتم أحبكم الله وأنا قعدت لهذا الزمن الخبيث»[2].

فالحاضر كان زمن الغدر والخيانة وزمن الخوف والقتل فتجلى الحاضر في صورة مظلمة يقول صالح الرصاصة :

«يا رب لما تركتني لهذا الزمان الحقير؟»[3]، فالحاضر تمثل في زمن العشرية السوداء وما نتج عنها من دّمار وخراب، ولذا كان هذا الحاضر منفورًا من قبل الشخصيات .

ومن خلال زمن الماضي والحاضر نستنتج أنّ:

- الشخصيات الإيجابية كانت تمجد الماضي وتنفر الحاضر.

- الشخصيات السلبية تنفر الماضي وتمجد الحاضر.

---

[1] : عز الدين جلاوجي را س المحنة1+1=0 ، ص 104.

[2] : المصدر نفسه، ص 40

[3] : المصدر نفسه، ص 40

ج- المستقبل:

إن المستقبل في هذه الرواية أخد مساحة واسعة، وتجلى من خلال أحلام الشخصيات و طموحاتهم التي مكنتنا من الاطلاع على المستقبل من خلال الحوارات، فتأزم الواقع و تدهور الأوضاع أدى بهم إلى الهروب من هذا الواقع، ولجأوا للأحلام كتنفيس لمعاناتهم.

يقول منير: "و تذكرت حلمي و حلم عمي صالح كنت أقول له دائما لابد ان نسعى في إقامة دار الثقافة ... حارة الحفرة مليئة بالمواهب"[1]

و تتجلى كذلك نظرة المستقبل في عزم عمي صالح للوقوف في وجه الأعداء، و ضرورة التغيير يقول« سينتقم الله منكم...إنه يمهل...ولا يهمل...وغفلة الشعب لن تطول»[2].

وهكذا نستنتج أن رواية "راس المحنة1+1=0"، ركزت على المستقبل لكونه يحمل حلما جميلا تسعى للوصول إليه من اجل القضاء على بشاعة الحاضر.

وبالإضافة إلى هذه الأزمنة، عرفت الرواية حضور أزمنة أخرى" كالزمن النفسي " "والزمن الواقعي"

✓ **الزمن النفسي:**

للزمن النفسي دورًا مهما في تحريك الأحداث، فتعلق بمعاناة وأحلام الشخصيات المستضعفة، فكان تعبيرا عن نفسية الشخصيات إتجاه الواقع المزري الذي أثر على نفسيتهم يقول منير عندما كان في السجن:

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص40

[2] : المصدر نفسه، ص 44.

«تذكرت أغنية الفنان الجزائري رابح درياسة ياساعة يهديك دوري و اجري بالرقاص عيني تنظر في أرقامك و الخاطر محتار ولّات الدقيقات ساعة و الساعة بانهار..»[1].

✓ **الزمن الواقعي:**

تجلى هذا الزمن في الرواية عند حدوث الأفعال، فلجأ إليه الروائي إلى نقل الأحداث التي كانت تحدث في تلك الفترة (الحاضر)، و يظهر هذا الزمن من خلال هذه المفردات:الصباح، المساء، أيّام، أشهر، نصف ساعة، الليل ،الغد، لحظات، أسابيع.

وهكذا كان للزمن الواقعي دورًا بارزًا في الرواية زمن حدوث الأفعال.

5. اللغة في رواية راس المحنة1+1=0:

تعتبر اللغة المادة الأساسية التي تبنى عليها الرواية، فالمبدع يعمل على انتقاء الألفاظ و الجمل التي تبهر القارئ، فيستمتع من خلالها بقراءة النص الإبداعي فاللغة تحقق الخصوصية الفنية و الجمالية لأنها هي «التفكير،و هي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها بل هي الحياة نفسها، إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة»[2].

إن رواية "راس المحنة"، عرفت تنوعًا في اللغة، فحضرت اللهجات و الأشكال التعبيرية التراثية، فتعددت من فصحى،وعامية، و لغة المثقفين، ولغة رجال الدين و الأغاني الشعبية، حيث اعتمدت هذه الرواية على تعدد الرواة و بهذا عبرت كل شخصية عن لغتها الخاصة بها.

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص146

[2] : عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ص93

أ- اللغة الفصحى و العامية:

زاوجت هذه الرواية بمستويين من اللغة، العامية و الفصحى، لكن غلبت الفصحى على عملية السرد أكثر من العامية، و الفصحى كانت تصدر على لسان الشخصيات المثقفة، أما العامية فكانت على لسان الشخصيات الغير مثقفة، وهذا أمر مشروع في الكتابة الروائية،فاللغة يجب أن تتلاءم مع المستوى الثقافي و الاجتماعي و الفكري و تتضح اللغة الفصحى في قول الراوي:

«منذ أن رحلوا عن القرية لم يعد لأي شيء طعم...كل شيء فقد جنسيته...كل شيء ضيع عذريته»[1]. حتى لغة الوصف جاء بالفصحى حيث وصف الراوي جمال الجازية:

«كانت هيفاء ممثلة خصبا و نماء.....هيفاء بلون الأرض المعطاء»[2]، حتى لغة الحوار غلبت عليها الفصحى و يتجلى ذلك من خلال حوار أمحمد املمد مع نفسه أي حوار داخلي:

«كانت القصبة الهوائية و الأوداج مقطوعة عظام الفقرات واضحة للعيان...النجيع المتجمد كقطع الكبد يعطي كل شيء...لقد تخبط فيه بوجهه حتى تغفر بالتراب»[3].

فرغم حضور اللغة الفصحى إلا أن العامية كانت بارزة في هذه الرواية يقول الراوي:« يا مغبون لخير عليك راح....ولهم عليك اتلايم »[4]. كذلك جاءت العامية على صورة أمثال شعبية مفعمة بالسخرية.

---

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص46

[2] : المصدر نفسه، ص 47.

[3] : المصدر نفسه، ص 79.

[4] : المصدر نفسه، ص 92.

يقول: «لا يعجبك نوار الدفلى في الواد داير ظلايل و لا يغرك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل»[1].

حتى الفصحى جاءت على شكل أبيات شعرية، خاصة شعر المتنبي الذي كان له حضورا بارزا في هذه الرواية «أغاية الدين ان تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم»[2]

وكذلك في قول نزار قباني:

« لبسنا قشور الحضارة و الروح جاهلة»[3]

فهذه الأبيات الشعرية حملت مفارقات ساخرة للواقع، كما أنّه وظف اللغة الفرنسية في إحدى الخطابات للوزير حتي يبين مدى سيطرة لغة المستعمر على فكرنا.

ب- لغة الشعر الفصيح و الشعر الشعبي:

من أوجه التعدد اللغوي التي احتوتها الرواية هو توظيف الشعر الفصيح بنوعيه العمودي و الحر، بالإضافة إلى الشعر الشعبي، الذي غلب على الشعر الفصيح، من خلال توظيف الأغاني التراثية، التي ختمت المقاطع السردية و الحوارية، فالشعر الفصيح كان صادرا عن الشخصيات المثقفة، في حين الشعر الشعبي كان صادرا عن الشخصيات الغير المثقفة.

فبداية الرواية كانت بلغة الشعر، وهذا ما تجلى في الاهداءين:

"ايتها العين...(ع)

ياسيدة الضياء

---

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص92.

[2] : المصدر نفسه، ص 206.

[3] : المصدر نفسه، ص 179.

والأرض و السماء»[1]

اما إلاهداء الثاني فجاء كذلك بلغة شعرية

«إليك....

أيها العين....(ع)

مازلت فوق جوادك....

مازال سيفك لم يثلم...

مازال قلبك لم يدورن حين قتلوك أنك لم تعدم»[2]

اما، الشعر الشعبي كانت توظيفه بشكل اوسع، و خاصة بالشعر المغنى و منه هذه الأبيات لقصيدة تراثية:

«هذا وطنك والاجيت براني

يا راس المحنة لله كلمني

حر أنت و الا مملوك حطاني

وألا انت خاين قبضوا عليك خيانة....

يارايس المحنة لله جاوبني»[3]

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص6

[2] : المصدر نفسه، ص 7.

[3] : المصدر نفسه، ص 193.

ومن خلال هذه الرواية نلاحظ تنوعا كبيرا في استخدام اللغة، التي اثرت على الحدث والزمن و الشخصيات، فتضمنت الرواية، لغة المثقف، اللغة العامية و الفصحى، اللغة الشعرية، اللغة العنيفة، لغة الحب، لغة التحليل السياسي، كما تضمنت ألفاظ و مصطلحات صوفية، وألفاظ مستوحاة من القرآن الكريم، كما ركزت الرواية على التنوع الصوتي و اللغوي، فقد خلق التعدد حوارا متعددا، فكانت اللغة عنضرا مبررا لموقف الشخصيات و عموما يمكن القول ان لغة "راس المحنة" هي لغة فتية جمالية فتعددها يسحر القارئ و يحقق له متعة القراءة.

6. الحوار في رواية "راس المحنة1+1=0":

يعد الحوار من أهم الوسائل الضرورية التي تعتمد عليها الأعمال الروائية، فهو حديث يدور بين اثنين أو أكثر ، فهو حلقة من حلقات التواصل بين افراد المجتمع فالحوار«ظاهرة أدبية تشمل كل نواحي الحياة المختلفة يمثل الحديث و الكلام الدائر بين الناس، و هو اشتراك طرفين أو أكثر في الإحساس في موقف معين يشارك في المليقي و الملتقى في إبداء رأي معين أو طرح فكرة غالبا ما تكون فيها آراء متضاربة»[1].

أما بخصوص رواية "راس المحنة"، و وظف الكاتب فيها نوعين من الحوار: حوار خارجي و حوار داخلي.

أ- الحوار الخارجي:

تجلى هذا النوع من الحوار بين شخصيتين او اكثر، في بعض المشاهد كانت من أجل معالجة الواقع، فنجد الشخصيات الايجابية تتحاور فيما بينها، و في بعض المشاهد يكون الحوار

[1] : كترة عزيزي، بنية الحوار في في رواة "كبرياء و هوى" "الحين اوستن" مذكرة لنيل شهادة الماستر، اشراف انيسة بن جاب الله جامعة العربي بن المهيدي،أم البواقي-قسم اللغة و الادب العربي(2016)

بين شخصية إيجابية و أخرى سلبية و بالتالي يكون الحوار ناتج عن تصادم و صراع و من أمثلة ذلك، الحوار الذي دار بين صالح و مدير المشفى: يقول المدير«من سمح لك بالقعود؟ قف...

صالح: هزتني الدهشة...ماهذه العداوة ضدى...؟»[1].

ب- الحوار الداخلي(المونولوج):

هذا النوع من الحوار تجلى بكثرة في الرواية، فكل شخصية كانت تتحدث مع نفسها و تتساءل عن الوضع المتأزم يقول صالح متساءلا:

«و في نفسي كنت أردد...هل خدعونا حين أوهمونا أننا إنتصرنا على الاستعمار؟»[2]

7. بناء الحدث في رواية راس المحنة1+1=0:

ان احداث رواية "راس المحنة"، كانت أحداثا يحكمها الصراع و التقابل، فكانت مدعومة بافعال و مواقف الشخصية فالرواية مقسمة إلى سبعة أقسام: شرفة أولى ، الخروج إلى التابوت- البحث عن العش- قراصنة الأحلام- الحب و عفونة الرصاص-الخروج من التابوت- شرفة أخيرة فكل قسم شهد جملة من الأحداث و يمكن تلخيص بناء الحدث في هذه الرواية كما يلي:

تبدأ الأحداث من هذا الجزء"الخروج إلى التابوت" و هو خروج صالح الرصاصة من القرية إلى المدينة بحثّ من صديقه السعيد والربيع.ومن أجل تحسين ظروف حياته في الأول لم يقبل لكن بعد إصرارهم على ضرورة تغيير ظروف حياته ، فاستطاعوا إقناعه و تتوإلى

[1] : عز الدين جلاوجي راس المحنة1+1=0، ص29

[2] : المصدر نفسه، ص 31.

الأحداث برحيلة من القرية و دخوله للمدينة و عمله في المستشفى، فيتعرض لمؤامرة من قبل مدير المشفى و طرده من العمل و من منزله.

وتتزايد الأحداث و تتنامى بدخول ابنه عبد الرحيم إلى صفوف الشرطة،لكنه تعرض بعد ذلك للقتل على يدي الجماعات الإرهابية.

تزداد تدهور حالة صالح فيقرر العودة للقرية و يظهر في جزء" الخروج من التابوت"

احمد املمد يزداد نفوذا و سلطة و يطرد سكان حارة الحفرة من مساكنهم و يقضي على حلمهم بانشاء المركز الثقافي و يفوز بالإنتخابات التي اشتراها بماله.

تمرد سكان حارة الحفرة على رمز الفساد امحمد املمد و في الأخير قتلته الجازية.

و من خلال هذا يتضح أن بناء الأحداث اعتمد على القوى المعارضة من اجل تحقيق برنامج سردي معاكس، ينتج عنه التشويق و التوترو التصادم.

8. نهاية رواية راس المحنة1+1=0:

لقد اهتمت الدراسات السردية ببداية النص و نهايته ،تغيرت نهايات النصوص الروائية، فكثيرا ما يترك الروائي النص مفتوحا للقارئ ليترك له المجال في وضع فرضيات للنهاية تتلائم مع احداث الرواية، «فالنهاية تتبع أحداثا سابقة عليها، و لا تكون متبوعة بغيرها من الأحداث و تؤشر لحالة من الاستقرار النسبي؟ كذلك فإن النهاية تلعب دورا مهما في اعطاء الانطباع بأن السرد او المتتالية السردية قد انتهت و تمنحها وحدة و تماسكا نهائيين، نهاية تولد عند المتلقى شعورا بالاكتمال و الغائية»[1]. و في رواية"راس المحنة"، نجد الروائي عزالدين جلاوجي يقدم لنا

[1] : احمد بن سعيد العدواني: النهايات السردية في روايات غسان كنفاني مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات و ادابها العدد السابع عشر، كلية اللغة العربية، قسم الادب2016م/ ص103

نهاية مغلقة، حيث أنه وضع حلاّ للقضاء على عقدة النص و ذلك بقتل رمز الفساد امحمد املمد وبقتله تحولت حارة الحفرة إلى حارة الربوة يقول:«وحين اشرقت شمس الصباح كان الجميع يشاركون في عيد حارة الربوة....»[1]

وكأن الكاتب يقول أن هؤولاء الخونة مستحيل أن يتركوا الوطن و أبناءه بخير، فالموت وحده قادرعلى وضع حد لشرّهم.

كما ان النهاية كانت نهاية مشرقة فيها أمل لغد أفضل فرغم المحنة الذي شهدتها الرواية إلا أن نهايتها كانت إيجابية و تمثلت بولادة طفل من سلالة الرجال المخلصين للوطن، و كأن الكاتب يقول وطننا سيظل ينجب الرجال الأوفياء و المخلصين للوطن .

«هل تعلم ؟ وهيبة أنجبت طفلا، وجدت نفسي أصرخ من أعماقي سالم العلواني...سالم البطل ما اعظمك يارب ! »[2]

وبهذه النهاية الاجابية يختم الروائي نصّه بأبيات شعرية:

«يا سيدة الضياء

والأرض و السماء

يا سيدتي

يا شذا الحبق و لون الكستناء

وروح الروح و سر الماء

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص220

[2] : المصدر نفسه، ص 214.

دياهم خسئوا

و إنبحبس الضياء

تيهي على عرش قلبي

و ازرعيه خصبا و نماء

واصّا عدي...اصّا عدي

على درجات الفؤاد المولّه

مقامك يا سيدتي

في عش السماء

في سدرة المنتهى...»[1].

المبحث الثالث: تجليات المحنة في رواية راس المحنة1+1=0

يعد أدب المحنة من أهم الإنتاجات الإبداعية الجزائرية لكونه أرّخ لمحنة الجزائر التي مرّت بها أثناء العشرية السوداء من تسعينات القرن الماضي. و ما جادت به قرائح الأدباء، و النقاد من تصوير فني واقعي مرير عانت منه كل شرائح المجتمع الجزائري فالحديث عن الجهنة الوطنية وتجلياتها في النص الإبداعي الجزائري يعني الحديث عن المشهد الروائي الجزائري في صلته بالراهن ،«فعلّه اصبح من البديهيات القول ان إرتباط نص ما بالواقع الاجتماعي الذي نحياه و بالقضايا المصيرية التي نواجهها لا يرقى به إلى مستوى القيمة الأدبية، ذلك أن الارتباط وحده

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، ص 220.

لا يكفي لخلق الأثر الأدبي الجيد، بل لا بدّ أن يصحب ذلك الارتباط القدرة على خلق التفاعل الحي بين الموقف الفكري للأديب إزاء مجتمعه و البناء الدرامي للنص الذي يعبر عن فهم الأديب لدور الأدب ووظيفته»[1]. فوظيفة الأدب و الفن هو الارتقاء بالموضوع من اليومي الدارج إلى نموذج في الكتابة و الإبداع.

إن موضوع المحنة شكّل هاجسا للروائي الجزائري التسعيني على اختلاف انتماءاته الفكرية،فشهدنا نصوصا كثيرة عبرت عن محنة الوطن الجزائري و كانت مثقلة بصور المحنة(القتل، القلق، الهروب، الاغتيال، الفقر)، كتجليات لعشرية سوداء حيث تفنّن الروائيون في رسم صورتها.

تميزت الرواية الجزائرية في فترة التسعينات بتحولات هامة خاصة على مستوى المضمون و البناء الفني الجمالي، فبينت تجليات المحنة الوطنية التي أثرت على كل شرائح المجتمع، فصورت لنا من خلال هذا التأثير كل مظاهر العنف و الدّمار و الإرهاب الذي سفك دماء الأبرياء، كما اهتمت رواية المحنة بوصف الأحداث المرعبة، فكانت عبارة عن صورة مجسّدة لواقع الجزائر آنذاك، هذا ما قام به الروائي عز الدين جلاوجي في روايته"راس المحنة1+1=0" حيث عبر بكل جرأة و شجاعة عن الوضع الجزائري، فقام بتعرية الواقع المزري الذي عاشه المجتمع الجزائري في تلك الفترة، و فتح الستار عن كل القضايا الغامضة. فعز الدين جلاوجي من بين أهم الروائيين الذين تناولوا موضوع المحنة الوطنية في جزائر التسعينات.

"راس المحنة 1+1=0" رواية تفاعلت مع الراهن الجزائري الذي كان محاصرًا بملامح الفساد و الإرهاب، فلم يجد المواطن الجزائري نفسه في عالم المجد و الكرامة بقدر ما وجد نفسه

[1] : عمار زعموش: جدلية الواقع و الفن في رواية"الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"،مجلة التبين، العدد18، 01 ابريل 2002، الجزائر، ص 45

في عالم الظلمات و القهر و الاستبداد، عالم ملوث بدماء الأبرياء، فالرواية كما هو واضح كن عنوانها تحيلنا على طرح أسئلة المحنة الجزائرية، فنحاول إستقراء الأسباب من خلال التصوير الصادق لتجليات المحنة فالكاتب كان يتساءل لماذا هذه المحنة؟ ومن سببها؟ فتجليات المحنة في هذه الرواية تتجلى من خلال غلافها فالقارئ قبل أن يتصفح أوراق الرواية، يدرك أنّها تحمل معاناة و آلام، فالغلاف كان عبارة عن لوحة فنية يختلط فيها الأسود مع الأحمر و الأبيض لمشهد غامض يحيل إلى الغرابة، فاللون الأحمر والأسود يرمزان للآلام و المعاناة و الخراب و الدمار، و بهذا كان غلاف الرواية معبرا عما تحتويه و تتضمنه الرواية، فالمحنة بارزة من الوهلة الأولى.

ومن غلاف الرواية ننتقل إلى عنوانها الذي يزيد من غموض الرواية و يوضح أكثر للقارىئ أن الرواية تعالج موضوع المحنة، فالكاتب اختار كلمة "المحنة" كمفردة مجسدة لموضوع الرواية.

أما بالنسبة لتلك العملية الحسابية الخطائية فهي بدورها كانت معبرة عن المحتة، فهذه العملية(1+1=0) عملية صحيحة في الزمن الجزائري، تخفي علامات غياب القيم و تداخلها في الراهن، فيتحول الصالح إلى الفاسد، و يتخد الشرف الجهادي مكان الانحطاط و يصبح الدنس الخياني في مكان القيادة و السيادة ومن هنا تتجلى معالم المحنة الوطنية، فكما السبق الذكر أن هذه العملية لها دلالة زمانية، فواحد(1) الأول يعني به زمن الثورة اما واحد (1) الثاني يعني به زمن العشرية السوداء، و بهذا تتضح دلالات الرواية انطلاقا من أمجاد الماضي الثوري وصولا إلى الراهن المأساوي الإرهابي، وبينهما يقدم الكاتب مسارا سرديا يحمل مفارقات بين الريف و المدينة، و يطرح أسئلة حول التاريخ و الوطن و البحث عن هوية مفقودة و صراع الإيديولوجيات. بعد قراءة لعنوان الرواية و غلافها اللّذان تجلت من خلالها صور المحنة الوطنية، تفتح الرواية بمجموعة من الأسئلة توكد موضوع المحنة واثارها على المجتمع

يقول الكاتب: «أني للحب أن يشرق و سحائب الدم مازالت تهدر حوله كيف يمكن للقلوب أن تعشق و تقتل في الآن ذاته...؟

من يقدر على ارتداء فستان الفرح في أزقة الجماجم...؟

ما معنى أن نحمل وردة و سكين...؟

إيه يا زمن نّانّا...

إيه يا عبقها الحلو

هذا الدرب طويل ...طويل...

تعب الجميع و لم ينته...

ضاعت في منعرجاته نوارس الحب مضمخة بدّم الغدر و الخيانة...

ها المدينة باهته بليدة بطعم الغباء...

غبراء بذوق الرماد....

مرّة بلون القر...و الحزن...و الانكسار

عفن يعرش...

موت ينشر أشرعته السوداء...

ذياب يغني في جنابتها...

يشتد أنين البائسين...

الرعب يسكن قلوب البيوت الواطئة الجاثمة كالوباء...

يتغلغل في أوردة الأزقة...يحدق كالمفجوع عبر كل الجدران»[1].

هذه الأبيات تعبر عن الحالة النفسية للكاتب، فالأديب هو ابن بيئته يتأثر كغيره من أبناء المجتمع بقصايا و محن وطنه، فهذه الأبيات التي افتتح بها عز الدين جلاوجي روايته، صرّح من خلالها للقارئ أن الرواية تسرد أحداثا مرعبة فيها موت و معاناة فالمفردات التي وظفها تنطوى على دلالات توحي بتأزم الوضع: الدم- تقتل- سكينا- الغدر- الخيانة- الرماد- الحزن- الانكسار- عفن- موت- السوداء- البائسين- الرعب- الوباء- المفجوع.

بهذه المفردات افتتح الراوي نصه ليحيل للقارئ عن مدى عمق المحنة و آثارها على المجتمع الذي صوره من خلال الشخصيات التي وظفها، فكل شخصية كانت تعاني من آثار هذه المحنة، كصالح الرصاصة بطل الرواية، هذه الشخصية تجلت من خلالها المحنة الوطنية، حيث أخد مساحة واسعة في التعبير عن الوضع المأساوي، لكونه عاش في زمنين ، زمن الشهادة ،وزمن الخيانة. وقد انتقل اسمه من صالح الرصاصة في زمن الثورة إلى صالح المغبون في زمن الاستقلال.

يقول: «لعنة الله على حرية يذل فيها صانعوها و يعز فيها أعداؤها»[2]، فالحرية التي ضحى من أجلها لم تثمر ثمارها لأنها حرية تعطى الشرف للخونة و تدوس على كرامة المناضلين، فتضحيات الشهداء راحت في مهب الريح، فالجزائر بعد الاستقلال و مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات دخلت في دوامة عنف سببها أبناء الوطن.

يتحول الوطن في رواية راس المحنة 1+1=0، إلى أرض للجفاف و ذاكرة لخنق الانسانية و بيع الضمير، وطن يحضر في مجتمع مقهور، مفجوع، هذا المجتمع صوّره الكاتب في سكان "حارة الحفرة" هذه الحارة الفقيرة التي عبرت عن يوميات المجتمع الجزائري في التسعينات

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، من ص 11 إلى 12.
[2] : المصدر نفسه، ص 84.

والخوف و القلق اللّذان سيطر على نفوس النّاس، في لوحة مفعمة بالقتامة شكلت عالما تراجيديا، حيث وجدت الذات نفسها داخل فضاء غير مستقر كما يظهر في هذا القول:«لا أخفي عليكم لقد غدونا رغم كل الشجاعة التي نملك نخاف حتى من خيالنا... إن الموت يتربص بنا في كل منعطف و الإرهاب الأعمى يقف في كل منعرج دينا غولا مفزعا»[1]وفي مشهد من الرواية صور الكاتب صراع الإنسان مع الموت، و الذي مثله في شخصية عبد الرحيم عندما تعرض للقتل من مجموعة ارهابية، فكانت لحظات مرعبة و هو يصرخ خوفا من الموت:

«أنا أخوكم ...أقسم أنني برئي...أقسم أنني لم أظلم أحدًا ...أنا فقير أعيل خمسة أفواه ضعيفة...إرحموني يرحمكم الله»[2] فالغدر الذي تعرضت له الشخصيات الخيرة جعلها تنغلق على نفسها، فنلاحظ كثرة المونولوج الداخلي.

فالجميع يتساءل عن سبب المحنة و يحلم بالخلاص منها:«أيقدر الأخ أن يفعل بأخيه كل هذا مهما كانت الأعذار و إلى متى ينتهي هذا التريف؟ متى يستريح هذا الوطن من غليان الأحقاد؟ متى تلبسين فستان فرحك أيتها البيضاء؟»[3]

و يقول منير المثقف«هل يمكن أن نفرح و الوطن الجريح يغرق في بحر من الدموع؟ و بماذا نتزين؟ و بماذا نتعطر؟ أ بالأكفان والدماء»[4]

ويواصل الكاتب في سرد الفجائع و أثرها على المجتمع كالخيّر الذي تعرض لإغتيال من طرف الجماعات الإرهابية، فالخوف الذي شعر به أثر عليه كثيرا ما جعله يروي تلك الحادثة في

---

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص 108.

[2] : المصدر نفسه، ص 128.

[3] : المصدر نفسه، ص 192.

[4] : المصدر نفسه، ص 179.

كل لحظة يقول:« فوجئت بهم يعترضون طريقي مشهرين أسلحة مختلفة سيوف...خناجر...بنادق...و رشاشات....صدقني يا عمي صالح روحي صعدت إلى خالقها و بردت ساقاي فلم تقويا على حملي فتهاويت إلى الأرض»[1].

فجميع الشخصيات كانت تروي أحداث المحنة، فكل شخصية مارست حقها في الروي، فتعدد المنظور الروائي، و غاب الراوي الواحد فالكاتب أعطى الكلمة لكل شخصية في تعبير عن همومها حتى "عزّوز الدود" الفتى المجنون كان يمشي في الشوارع و يرّدد تلك العبارة التي تكررت بكثرة في الرواية:

"اختلط الدود بالدود و لا يفكها إلا الخالق المعبود" و من هنا تجلى أثر المحتة حتى على المجانين فهذه العبارة المتكررة في النص الروائي توحي بمدى خطورة هذه المحنة و غموضها لدرجة يستحيل الخلاص منها إلا بمعجزة من الله.

وتتبع الرواية يوميات سكان"حارة الحفرة"، مبرزة المعاناة الجحيمة للجميلة "عبلة الحلوة" التي تعرضت للاغتصاب، كما نجد أحلام "الجازية" وخطيبها الصحفي "ذياب" و سعى امحمد املمد للزواج منها عنوة، و كذلك الصراعات المرهقة للمثقف " منير"، و تهميش المجاهد صالح الرصاصة. وبقدرما كانت فضاء تشتد فيه علاقة تصارع بين المدينة و الريف و بين حارة الحفرة و الأحياء الغنية حيث بدّت المدينة بعد الاستقلال فضاء يحمل عناصر السعادة لتوفرها على شروط الحياة إلا أن الرواية صورتها عكس ذلك فالمحنة ارتبطت مكانيا بالمدينة تقول "عرجونة بنت عمر" «المدينة كابوس يجثم على صدورنا، و الأجواء فيها مكهربة و الجزائد لا تطّل على الناس إلّا بالفجائع»[2].

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0، ص 137.

[2] : المصدر نفسه، ص 48.

إنّ الراهن الذي عالجته رواية"راس المحنة"، قد كرّس مبدأ التأزم، حيث تآمر هذا الراهن يتواطؤ مع الفاعلين فيه أمثال " امحمد املمد" في نشر الفتنة بين أبناء الوطن، حتى أصبح القتل في كل لحظة و فساد في البيئة، المناصب تباع و تشترى انعدام المسؤولية، فضاعت القيم وتفشت الرذيلة، لكن ما يلفت الانتباه أن هذه المحنة، كانت مرتبطة بفئة معينة من المجتمع، فتأزم الوضع مسّ فقط الطبقة الفقيرة التي أثرت عليها المحنة الوطنية في جميع مجالات الحياة، أما الطبقة الغنيّة و أصحاب النفوذ فظهروا في الرواية مستمتعين بالحياة، كأنهم في عالم آخر، وكأنّ الكاتب أراد القول الفقراء وحدهم دفعوا ثمن الأحقاد الماضية فالمواطن البسيط وحده من كان يتخبط في خراب الأزمة فبعدما ربط المحنة بفضاء معين (المدينة) التي اصطلح عليها بالتابوت، لما كانت تشهده من قتل و دبح رعب، لم يكتفي الكاتب بهذا التخصيص للمحنة بل أضاف أكثر لهذا التخصيص للفضاء المكاني ، من خلال ربطها بالأحياء الشعبية الفقيرة، و بهذا ربطها بطبقة معينة" حارة الحفرة" و بهذا ربطها بطبقة من المجتمع يقول: «الأثرياء ينادون ثراءا و طغيانا ...اشترو كل شيء القانون المسؤولين...وصاروا هم اصحاب القرار... أما الفقراء فقد كشر الفقرأنيابه عليهم»[1].

فالرواية أحاطت بالواقع الجزائري أنذاك من كل جوانبه، و صورت المحنة الوطنية بكل جرأة، فربطهابفضاء معين و طبقة معينة وزمن معين، بل ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك، فحاول استقراء أسباب المحنة لانه كان في حيرة، كيف يستطيع ابناء الوطن قتل بعضهم البعض، و بعودته إلى الماضي الثوري للجزائر بذكر رجالهم المخلصين الذين أفنوا أنفسهم من أجل الجزائر، و في المقابل نجد فئة أخرى خانت الوطن و تخالفت مع أعدائه، و لذا كان لا بد من قتلهم مثل ما حدث لأب امحمد املمد، الذي خان الوطن فقتله المجاهدين، و بذلك قرر ان ينتقم لوالده، فبعد الاستقلال أصبحوا ذو سلطة و نفوذ، كان يستمتع بألم "حارة الحفرة"

[1] : عز الدين جلاوجي:راس المحنة1+1=0، ص 156إلى 15

ويسخر من سكانها الضعفاء، كما لمح الكاتب أنه له يد مع الجماعات الإرهابية، و بهذا يكون قد لمح لسبب المحنة الوطنية، بالعودة إلى جذورها، فرغم استقلال الجزائر إلاّ أن أثار المستعمر مازالت مجسدة في الواقع، مازال هذا المستعمر ينشر الفتنة في الوطن و يتحكم في أبناءه، ويذهب عز الدين جلاوجي أبعد من ذلك في بحثه عن سبب المحنة ليصل أن الشعب الجزائري لا دخل له و لا يد له فيها فمثلا" صلاح الدين " ذلك الإرهابي من أبناء حارة الحفرة، كان يقتل اخوانه يقوم بعملية اغتيالات، إلّا أن نهايته عرفت نفس مصير اخوانه المواطنين، فبعدما استفادوا منه ذبحوه، و من هنا نستنتج ان راس المحنة مجهول فهناك جهات ضبابية مجهولة هي راس المحنة و بالتالي الإشكال الذي طرحته الرواية و المتجلي من عنوانها من راس المحنة؟ لم نصل للإجابة عنه نظرا لضبابية و غموض تلك المرحلة من تاريخ الجزائر، و إنما اراد الروائي ان يوضح للقارى ان المواطن البسيط لا علاقة له بالإرهاب، ومن كان لهم علاقة به إنما كان ضحية و فريسة للجهات المجهولة استغلت فقر و ضعف و جهل بعض المواطنين فمثلا"صلاح الدين" ليس له مستوى دراسي فهو محدود المعرفة و لذا استغلوه، عكس منير المثقف الواعي كان كل يوم يتلقى رسالة للالتحاق بهذه الجماعات التي كانت تهدده، و رغم ذلك لم يتأثر و ظل صامدًا. إن محنة النص الروائي لم تكتفي بالجانب الأمني للوطن و انما كانت محنة على جميع مجالات الحياة فالخوف و الرعب والقتل، اثر على جميع المجالات، فعز الدين جلاوجي قام بتصنيف هذه المحنة و اثارها على المجتمع، فكانت محنة سياية، أمنية، اجتماعية، ثقافية، كما تطرق إلى موضوع محنة الهوية ليس ذلك و حسب بل إن الرواية تدخل في مسألة الاختلاف و الصراع المذهبي، و يمكن تلخيص أثر المحنة الوطنية على هذه المجالات كالتالي:

أ- المحنة الاجتماعية:

إن المحنة التي عرفتها الجزائر في التسعينات أثرت على الجانب الاجتماعي و المستوى المعيشي، و اهتم عز الدين جلاوجيي بهدا الجانب ،فصور الفقر الذي عانى منه المجتمع، و عالج

موضوع البطالة، كما تطرق إلى موضوع الهجرة كحل للهروب من الواقع المتأزم، بالإضافة إلى صراع الطبقات الاجتماعية فكل هذه المشاكل نتجت عن عبثية الراهن يقول صالح لابنه عبد الرحيم الذي كان يعاني من مشكل البطالة «من اي صلب هذا الولد الفاشل الذي لا يحسن ان يصنع لنفسه خبزا يحفظ رجولته...نظرت فيه و قلت: لو كان بومدين حيّا لعاقب كل الشباب الباطل ذلك القوي ابو الضعفاء و دون تمهيد اندفع عبد الرحيم فجأة كأن الحياة عادت اليه : وماذا فعل بي لما كان حيّا حتى يفعل لنا الآن انظر كل ما حولنا يوحي بالمأساة»[1].

يقول عبد الرحيم: «الواقع الذي تحول هذه الأيام إلى غول يلتهن جميعا يلتهم جيلا بأكمله.....ألا تسأل أنت نفسك؟ لماذا وجدنا في هذا الكون.؟ متى نعلن فحولتنا؟ متى نحصد ابتسامات أطفالنا؟ هذا حلم أحب أن أعيشه فمتى يحصل ذلك؟»[2].

فالفقر كان له أثر كبير على الشخصيات التي كانت تجد نفسها على حافة الحياة، في حين هناك من كان ينعم في الخيرات.كما عالج موضوع مشكل السّكن، حيث عنوّن جزء من. الرواية "بالبحث عن العش" أي البحث عن المأوى يقول عبد الرحيم: «أية عدالة في أن تتحم الأقلية. وتعجز الأغلبية عن توفير فير للحياة تمارس فيه الحب وتزرع فيه أزهارا للمستقبل؟ أ لسنا بلد البترول؟»[3]

هكذا صوّر الكاتب الحالة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، أحياء فقيرة مهمشة، شباب لا عمل لهم، يمارسون هواية التسكع، فقر أثقل ظهور العائلات، وبهذا وجد المواطن البسيط نفسه. في محنة اجتماعية وغلقت كلّ الأبواب في وجهه يقول منير:الوضع أصبح أكثر تدهورًا.....، مستوى المعيشة أصبح مفزعًا.....حرية الرأي حمامة مشنوقة في كل

[1] : عز الدين جلاوجي: راس المحنة1+1=0 ص61

[2] : المصدر نفسه، ص من 66 إلى67

[3] : المصدر نفسه، ص 74.

مكان.....بطالة سافرة أو بط.الة محجبة، بلادنا أصبحت سوق ضخمة لسلع تنتجها حتى الدول الضعيفة»[1].

ب- محنة سياسية:

صور عز الدين جلاوجي في روايته "راس المحنة"، الأحوال السياسية التي عرفتها الجزائر أنذاك، فكانت صورة سلبيّة، رجال. السلطة لا مستوى لهم، عديمين المسؤولية، همّهم الوحيد خدمة مصالحهم والحفاظ على نفوذهم، صراع حول المناصب للوصول إلى أعلى الهرم، تزوير، خيانة، كل هذا على حساب الوطن والمواطنين الضعفاء، وتظهر شخصية السياسي في رواية من خلال شخصية "سي سليمان"، الذي كان مديرا للمشفى، لا يحترم وقت عمله، لا يهتم بخدمات المرضى، إلاّ أنه ارتقى إلى منصب الوزير، ومن هنا تتجلى ملامح الفوضى والفساد ذاخل النظام يقول منير: «هذه الدولة لا تحسن إلاّ تتبع الأبرياء أمّا اللصوص فيتحكمون في كل شيء»[2] ويضيف:

«هممت أن أغير القناه حين ضعقت مكاني ووزير التخطيط والعمران الجديد يعقد ندوته الصحفية الأولى والذي لم يكن سوى سي سليمان مدير المشفى السابق والذي تسبب في طرد عمي صالح من عمله ومن مسكنه.....لك الله أيها الوطن العظيم ! من متخرج من معهد الميكانيك إلى مدير مشفى إلى مست.شار بالوزاة إلى وزير للتخطيط والعمران»[3]. ويقول امحمد

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 142.
[2] : المصدر نفسه، ص 152.
[3] : المصدر نفسه، ص 142.

املمد:«سأتصل بالوزارة.....سي سليمان.....سأحصل على قرار من فوق سيثبت أن حارة الحفرة غير صحية وغير لائقة للسكن وبقوة القانون سأهجرهم جميعا»[1].

هذه الرواية جسدت الصراع السياسي بكل صدق وجرأة حيث غلبت السلطة .على جميع الأوضاع، واحتوت جميع الميادين فكانت هي سيّدة الموقف.

ج- محنة أمنية:

الأمن هو أكبر نعمة تنعم بها المجتمعات، يوفر الاستقرار والراحة، وبفضله ترقى الشعوب وتتطور، عكس اللاّ أمن الذي يخلق الفوضى والرعب ويؤدي بالبلاد إلى الخطر، وعندما نتحدث عن موضوع الأمن في جزائر التسعينات يحضر في أذهاننا جميع الصّور المرعبة والمتوحشة، ففي رواية "راس المحنة" اهتم الروائي بتصوير دقيق للعنف والخوف الذي شهدته الجزائر أنذاك، فكانت أكبر محنة على المجتمع الجزائري كيف لا؟ والرؤوس كانت تقطع وتتجلى صوّر المحنة الأمنية في الرواية بذكر الاغتيالات التي كان يتعرض لها المواطنين:

«مجموعة إرهابية تتسلل تحت جنح الظلام إلى عمق مدينة المدية.....تقتحم ثانوية..... وتغتال ببشاعة خمسة عشر طالبا داخليا تتراوح أعمارهم بين ستة عشر وعشرين عاما ثم لاذوا بالفرار إلى الجبال المجاورة رجال الأمن مازالوا يقومون بتمشيط المنطقة مدعمين بالطائرات وأفراد الجيش الشعبي الوطني و.....لك الله أيها الوطن العظيم شامخا تبقى رغم كل المحن»[2]

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 208.

[2] : المصدر نفسه، ص 175.

ويضيف مبرزا الوضع الأمني للبلاد : «الأبرياء يذبحون كل يوم بالمءات؟ والإرهاب يمد جذور سرطاناته في كل شبر؟»[1].

يضيف:«توالت بعد ذلك جرائم القتل والاغتيالات داخل المدينة وخارجها على الطرقات المؤدية إليها خاصة الغابية والنائية»[2].

كما بيّن الروائي أنّ اللاّ أمن كان منتشرًا في كل ربوع الوطن من الشرق إلى الغرب، شمالا، جنوبا، في كل يوم يتلقى المواطن أخبارًا من الجرائد ترعيه تقول الجازية:

«فتحت جريدة الشروق اليومي.....أول عنوان صادفني هو مجزرة في المدية.....إختطاف سيناريو في تبسة.....إغتيال رئيس محكمة بباتنة ودركين ببلعباس.....قوات الأمن تقضي على عشرين إرهابيا في جبال بابور وبوطالب وحربيل.....خضني دوار عنيف.....عصف بكل جسدي.....داهمني موج القيئ.....وضعت يدي على رأسي ورحت أضغط بقوة.....»[3].

هكذا صورت الرواية الأوضاع الأمنية في تلك الفترة، قتل، ذبح، إغتيال، خوف، رعب، وبهذا كانت أشد محنة، وأكثرها تأثيرًا على الشخصيات.

د- محنة ثقافية: (محنة المثقف)

اهتم الروائي عز الدين جلاوجي، في هذه الرواية بوضعية المثقف في تلك الآونة، واغترابه داخل مجتمعه، فالراهن الجزائري أنذاك ارتفعت فيه أصوات الرصاص، بدل أصوات الفكر، ووجد المثقف نفسه على الهامش يحاور نفسه، يتسائل ليس بإمكانه فعل شيء، وتظهر شخصية

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 161.
[2] : المصدر نفسه، ص 136.
[3] : المصدر نفسه، ص175.

المثقف من خلال شخصية "منير" وذياب، من خلالهما عالج الكاتب محنة المثقف، فمنير صاحب المكتبة قدم عبر الروائي موقف المثقف وتفاعله مع الوضع، ومحاوليه الدفاع عن أحقية الثقافي في السير بالاجتماعي والسياسي، لكنّه يعيش في ظل غربة واغتراب داخل مجتمعه، لا يجد من يفهمه، ليس هذا فحسب بل يتعرض لقيود وممارسات استبداية من رجال النظام وهذا ما حدث لمنير، حيث وجد نفسه مسجونا بدون سبب من أجل خنق حريته الفكرية، فذياب الصحفي كان يتعرض لاغتيالات من طرف السلطة والإرهاب.

يقول منير:« تدن لمكانة العلم ومكانه أهله حتى غدوا محل إحتقار الدهماء والرعاع.....الأقلام النزيهة غدت بين.....فك الإرهاب وأصحاب المصالح وفك أصحاب الأمر والنهي..... مستنقعات يجب أن يسبح قلمك في أحدهما أو فالويل له.....»[1].

ويضيف الكاتب مبينا وضعية المثقف ومحنته يقول ياسين صديق ذياب الصحفي بخصوص إختفاءه:

«غادرت الفندق منذ مدة وأنّه يعيش مختبئا لأحد يعرف مكانه إلا هو.....يلتقيه كل مساء ليحضر من عنده مقاله الذي أصبح يوقعه باسم مستعار.....لقد تلقى عشرات التهديدات عبر البريد والهاتف وتعرض لمحاولة اغتيال خاصة بعد مقالاته النارية التي كتبها ضدّ الأثرياء أصحاب الإمتيازات ودورهم في تموين الإرهاب»[2].

هكذا صورت الرواية الوضع الثقافي الذي كان جامدًا لا دور له، مجاله مقصى فمنير كان يحلم ببناء مركز ثقافي يضم فيه مواهب حارة الحفرة، إلاّ أن حلمه تبخر لأن، محمد أملمد

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص من 142 إلى 143

[2] : المصدر نفسه، ص 177.

استعود على ذلك المكان وحوّله إلى مركز تجاري ومن هنا يتضح تهميش كلّ ماهو ثقافي، وإقصاء للمواهب الشابة وتحطيم أحلامها، وإغتيال المثقف وخنق حريته، فهذه الرواية اهتمت كثيرا بمحنة المثقف.

هـــ- محنة الهوية:

إن لكلّ مجتمع هويته الخاصة التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، فتميز الهوية التي تنسب إليها مقدمة على الذات ولقد عالجت رواية "راس المحنة" موضوع الهوية، ويرى عز الدين جلاوجي أن جيل الماضي حافظ على هويته، أما جيل الحاضر لم يستطيع المحافظة عليها وبالتالي محنة الهوية في هذه الرواية كانت متعلقة بالحاضر وعبثيته، فجيل الماضي قاوم المستعمر الذي كان يسعى للإطاحة بهوية الذات الوطنية، لكن هذه المقاومة لم تستمر، حيث أصبح العبث بالهوية الوطنية أمر عادي، فراس المحنة الذي تتحدث عنه الرواية قام بتلويث الهوية الجزائرية، فتطاول على قداسة الذات يقول صالح الرصاصة، «جيلنا أدى واجبه..... جيلكم جيل المنهزمين لم يواصل المسيرة»[1].

وفي نقطة أخرى تظهر قمة العبثية بالهوية الوطنية، حينما ألقى الوزير خطأ با يقول:«أما منا عمل بزاف ومشاكل قد لجبال parce que وزارتنا importante très importante لازم نخطط ونشيد عمرانا باش نقضي على مشكل السكن الخطير و habitant les البسطاء السكن ولو بالأديان وارتفع صوت أحد الصحفيين مصححا بالديون»[2]، هكذا أصبح رجال السلطة يخاطبون شعبهم باللغة المستعمر، أما الشعب منهم من كان يرى ذلك أمر عادي ومنهم من لم يتقبل هذه اللغة ويظهر ذلك في حوار دار بين شيخ ورجل أقل منه سنًا يقول: »أنا لم أفهم

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 117.

[2] : المصدر نفسه، ص 142.

شيئا في سياسة هذه البلاد حتى الرئيس لم يعد يخاطبنا باللّغة التي نفهم ردّ اخر أقل منه سنّا يظهر أنه من المحبين للرئيس: العيب فيك لأنك لم تتغير..... الرئيس لا يخاطب أمثالك بل يخاطب الشباب المتعلم بلغة التقديم، غضب الأول فرد ثائرا: رئيس اليهود حدث شعبه بلغة.....ما معنى أن يحدثنا هو بلغة الاستعمار»[1].

ويواصل الروائي معالجة قضية العبث بالهوية والتأكيد على ضرورة الحفاظ على هوية الذات الجزائرية من خلال عرضه لقول لشيخ الإبراهيمي:«إن للغرب فيكم مطايا ذللا هم أصل البلاء والعلة قادكم بسلوك من الأمراء والملوك قادوكم إلى الهاويةفانزعوا المقادة من هؤولاء القادة تفلحوا»[2].

ففي هذه الرواية قارن الكاتب بين جيلين، جيل حافظ على هويته في الماضي، لكن في الحاضر لم يواصل جيله الحفاظ على هويتة الذات الوطنية.

و- محنة الغلو في الدين:

تناولت رواية "راس المحنة"، موضوع الغلو في الدين و التشدد فيه بل إن الرواية تدخل في مسألة الصراع المذهبي وهذا أمر طبيعي، بما أن الرواية تروي أحداث الجزائر في التسعينات، فالإرهاب أو كما يسمى بالجماعات الإسلامية شوهوا صورة الإسلام بتعصبهم الديني .لكن في الحقيقة لا علاقة لهم بالإسلام كيف وهم يذبحون الأبرياء ؟ حيث رصد عن الدين جلاوجي بعض مظاهر الغلو في الدين التي كانت منتشرة في المجتمع الجزائري . حيث اهتم ببعض ملامحهم ولباسهم :

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، ص 122

[2] : المصدر نفسه، ص 155.

«باغتنا ثلاثة من الفتيان عليهم ملامح التدين....أسدلت لحاهم واستوت العمائم على رؤوسهم... وكحلت عيونهم ... لم انطق إلا بكلمة مرحبا ... حتى عجل إلي يقول:-الخلوة حرام... قال الرسول-صلى الله عيه وسلم-:"ماخلا رجل بامرأة ألا كان الشيطان ثالثهما" و لم تتركه حسناء ليواصلوا فقالت بغضب:وماد خلك آنت ؟ آم نصبت نفسك أميرا على الأمة ونحن لانعرف ؟ و لم يرد إن قال دون إن يرفع بصره: اسكتي صوتك عورة ....وقرن في موتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ...الزمي بيتك ياآمة الله...نحن جماعة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر... وقد بلغنا اللّهم فاشهد .....لم يبقى لنا إلا هدا يأتينا ليعلمنا حدود الأخلاق والآداب ولعله لا يحسن أن يقرا سور الصلاة »[1] ويقول صالح الرصاصة :

«ليس من السهل هذه الأيام أن اذهب إلى المسجد لقد كثرت الاغتيالات وغدت المساجد مراكز للفتن....»[2].

هكذا صور عز الدين جلاوجي الأفكار الدينية الشاذة في المساجد وفي الأزقة حتى في الحافلات كانت تقع الصراعات نتيجة اختلاف في الأفكار ويظهر ذلك عند ما كانت الجارية في الحافلة تقول :«توقف الشاب الملتحي عن القراءة ....خبأ مصحفه في جيبه أخرج من حافظته شريطا وسلمه للسائق.... دار الشريط واندفع منه صوت واعظ يكاد صوته يخرق الأذان ... معشر المسلمين والمسلمات بعدما تناولنا في الدرس السابق حكم الشرع في خروج المرأة وتعليمها وأكدنا بما لا يدع مجالا للشك من كتاب الله وسنته أن المرأة لاتخرج إلّا للضرورة.... ننتقل بحضرتكم اليوم إلى درس جديد ....هو عذاب القبر وما أدراك ما عذاب القبر ....وانتفض الشاب المجاور للسائق فرمى السماعة واسكت صوت الواعظ قائلا للسائق:

[1] : عز الدين جلاوجي . رأس المحنة 1+1=0.ص 111

[2] : المصدر نفسه. ص 119

«مالك أيها السائق نحن في سفر أم في جنازة ؟

لم يتفوه السائق بكلمة واحدة..... لكن الشاب ناب عنه مدافعا عن شريطه و مايحمل

اتق الله يا أخي ....ألا تحب أن تسمع ذكر الله تعإلى ؟

إلا بذكر الله..... واشتد الجدال و التنابز بينهما... »[1].

ز- محنة نفسية:

إن الأحداث التي شهدها الرواية أثرت بشكل سلبي على معنويات الشخصيات فكل شخصية وجدت نفسها مهمشة صوتها بلا صدى الخراب والدمار محيط بها من كل جهة لا تسمع إلا أصوات الرصاص أو لا ترى إلا الدماء . حتى أصبح قضاء الرواية يبدو وكأنه عالما ترا جيديا .وكل شخصية كانت تتساءل عن هذا الوضع ومتى ينتهي هذا الكابوس ؟

ومن سبب هذه المعاناة فالشخصيات بدت في حيرة من الواقع المزري وما يدل على أن الشخصيات كانت تعاني من حالة نفسية مزرية هو كثرة المونولوج الداخلي . وظهرت كل شخصية كأنها تعيش في عالم لوحدها تتساءل لأحد يجيبها .

فالمستوى المعيشي أثقل ظهرها . فقر. بطالة .خوف. رعب . تهميش ظلم. فتناقضات الواقع و عبثيته جعلت الشخصيات تفقد الأمل فوجدت نفسها وكأنها هيكل جامد لاستطيع تغيير الوضع والتمرد عليه حتى بدى الوطن كأنه سجن يخنق أنفسهم يقول منير: «إلى متى تظل أيها الرصاص تمزق سكوننا»[2].

[1] : عز الدين جلاوجي ،رأس المحنة 1+1=0، ص191

[2] : المصدر نفسه، ص191.

ويقول أيضا:«مامعنى أن تنهك حرمة إنسان ليلا»[1].

ويضيف:

«ماذا لو طرت مثل الحلاج؟

ولكن ما معنى أن أطير ألم ينحروا الحلاج كالشاة؟»[2]. يقول صالح الرصاصة :« متى نهنأ في هذا الوطن ؟»[3].

ويواصل الشيخ الهاشمي متأثرا بما آلت إليه البلاد فيقول: «لماذا يارب عشر سنوات والدماء تجري وديانا لماذا يا رب ؟ لماذا يموت كل شيء في وطني ، وحده الموت يبقى حيا»[4].

هكذا تناولت الرواية بين صفحاتها المحنة الوطنية ، فلم تكن محنة واحدة بل كانت محن متعددة في مختلف المجالات فالمحنة الأمنية ، تولدت عنها محن أخرى أثرت على المجتمع بشكل سلبي ،هذا المجتمع الذي حوله عز الدين جلاوجي إلى الشخصيات ورقية تحكي لنا مشهدا مروعا من تاريخ الجزائر ومثل هذا المشهد المرعب وصوره للقارئ كأنه مشهدا سينمائيا ،ومن بين الصور التي تجلت من خلالها المحنة من خلالها مايلي:

[1] : عز الدين جلاوجي ،رأس المحنة 1+1=0، 147.

[2] : المصدر نفسه،ص 112.

[3] : المصدر نفسه،ص 117.

[4] : المصدر نفسه، ص 132.

1- الاغتيال وتصفية الحسابات:

إن الاغتيال يستهدف شخصا معينا يكون عائقا لأصحاب عملية الاغتيال، فهو مصطلح يوحي بالظلم والاستبداد، وفي بعض الأحيان يستعمل هذا المصطلح في إطار مجازي بعيد عن معناه الواقعي، كاغتيال الفكر أو قضية أو وطن .

للاغتيال زمن المحنة الوطنية صورة سلبية لم يغفلها الروائي عز الدين جلاوجي في رواية "راس المحنة " التي تضمنت عدة عمليات اغتيالية:

« تلك الليلة اخبرني أحد الجيران أن السيد معرفة مفتش التربية قد اغتيل وهو خارج من إحدى الثانويات ....وأن الشيخ السعيد قد قتل دفاعا عن نفسه في اشتباك مسلح وقع قريبا من بيته ....وعلمت أيضا أن مترل الهاشمي قد اقتحم ليلا من طرف مسلحين مجهولين»[1].

وبخصوص تصفية الحسابات في هذه الرواية تظهر مع شخصية ألمحمد املمد الذي يحمل حقدا وكرها ويودّ الانتقام لوالده يقول منير عنه : «وحده الموت ....هذا البليد....وحده الدم النازف يعزف له مواله»[2].

2- الهروب:

تجد الهروب في رواية "رأس المحنة" وسيلة تستخدمها الشخصيات تتجاوز الواقع المزري والهروب في هذه الرواية تجلى في صورتين ، هروب واقعي بالانتقال من مكان إلى مكان ، اما الهروب الثاني فكان هروب خيالي عن طريق الحلم.

[1] : عز الدين جلاوجي ،رأس المحنة 1+1=0، ص132.

[2] : عز الدين جلاوجي ،رأس المحنة 1+1=0، ص192.

يقول صالح الرصاصة عندما ضاقت به الحياة :«والحل؟ الهروب الهروب..... كل شيء يصرخ في أذني اهرب يا صالح ..... يا صالح المغبون .... يا صالح المجنون ....اهرب بنفسك ..... أنت ضعيف هؤلاء شياطين أنت لا تقدر تقدر على مواجهة هذا الجنس ....يصالح اهرب ...اهرب يا صالح ....هؤلاء فسدوا وفسدت عليهم.... اهرب يا صالح اهرب .... وأين تهرب الدنيا ضيقة ....الأرض ضيقة...السماء ضيقة ... أين تهرب يا صالح ؟»[1].

يقول عبد الرحيم :« حلمي لعله صعب التحقيق .... وربما هو من المستحيلات ، ولكنه يبقى أولا وقبل كل شيء حلما.... من حقي أن أحلم ... والحمد لله إن الله خلقنا نحلم وإلا كانت الطامّة .... والحمد لله إن حكامنا وأثرياءنا لا يملكون منعنا من إن نحلم »[2].

هكذا تجلى الهروب في راس المحنة إلى هروب من واقع مظلم لا نور فيه واقع أثر على الشخصيات ما جعلهم يلجاؤون للهروب كوسيلة لدفع الخطر عن حياتهم او كوسيلة لنسيان الواقع وتحقيق الآلام.

3- الخوف والقلق:

يعتبر الخوف والقلق حالات نفسيّة تصدر من انفعال سلبي ، وفي رواية راس المحنة تجلت صورة الخوف والقلق بكثرة، فظهرت الشخصيات في حالة مر عبة لما كانت تسمعه وتراه من قتل وذبح ، فالموت أصبح هاجسا لها ،ومن أهم الصور التي صورها الروائي عن الخوف والقلق هي حادثة قتل عبد الرحيم ، فقبل حادثة القتل ، كان عبد الرحيم في حفل ختان ابن أخته ، و الحفل كان في الليل فظهر مضطربا تفكيره فقط في الرجوع إلى بيته مع زوجته وأخته لأن في تلك الفترة كان الانتقال من مكان إلى مكان ليلا أمر فيه خطورة وكبيرة وبعد انتهاء

[1] : عز الدين جلاوجي ،رأس المحنة 1+1=0، 45.

[2] : المصدر نفسه، ص 65.

الحفل،استأجر سيارة أجرة للعودة إلى بيته وبالركوب في السيارة وانطلاقهما أحسّ عبد الرحيم بخوف شديد وشعر بقلق استطاع نقله لمن كان معه يقول عبد الرحيم :« حين انطلقت سيارة الأجرة راجعة بنا إلى المدينة كان الجميع صامتين كتماثيل باردة »[1].

ويواصل في وصف ذلك القلق والخوف، يقول: «لقد دخلنا الغابة ...وأحسسنا جميعا أن الصمت بدا يثقل على ابدأننا ....وان قلوبنا قد ضاقت فاشتدّ خفقانها ....وأن أغصان أشجار السر وتتجول إلى اذرع أخطبوط تلفنا جميعا وتعمرنا في وحشته »[2].

وتواصل الجازية أخته في وصف ذلك القلق تقول:ولوى عبد الرحيم رأسه إلى الخلف فتركزت عيناه على سقف السيارة أي سقف يقصد بهذا التوجه المفاجئ؟ لاحظت زوجته وهيبة الملساء تمتد من مكانها الخلفي فتمسك يده وتضغط عليها ...واشتد اضطرابي بجوارها لقد أحسست بالتوتر الشديد الذي يعيشه عبد الرحيم والذي استطاع أن ينقله إلى جميع من معه في السيارة »[3].

فالخوف والقلق الذي أحس به عبد الرحيم ومن معه إنما يمثل صراع الإنسان مع الموت ،والخوف من وقوعه والقلق منه كيف سيحدث هذا الموت ، ففي تلك الفترة كانت الرؤوس تقطع ولهذا ظهرت الشخصيات في حالة قلق وخوف من تكرار المشاهد ذاتها.

ويمكن القول أن عز الدين جلاوجي من خلال روايته راس المحنة 1+1=0 قدم للقارئ قراءة جريئة للوضع الجزائري من منظور روائي قام فيه بتشخيص الراهن (الإرهاب ،الفقر،الرشوة،تصفية الحسابات،البطالة،الفوارق الاجتماعية....) فقد عبرت الرواية من خلال

[1] : عز الدين جلاوجي ، راس المحنة 1+1=0،ص124

[2] : المصدر نفسه، ص 125.

[3] : المصدر نفسه، ص 125.

الشخصيات عن الواقع البائس الذي ضاعت فيه حقوق البسطاء، وتحول الوطن إلى بقعة سوداء، فالروائي حاول التوغل في أعماق المحنة الوطنية لإكتشاف أسبابها، فلم يترك مجالا إلّا وعالجه، فالرواية قدمت قراءة شمولية للواقع الجزائري انذاك ، فموضوع المحنة كان ظاهرا بوضوح، فكلّ مافي الرواية ،يوحي بالماساة بداية من غلاف الرواية، مرورا بعنوانها ، فعز الدين جلاوجي رأى في مصطلح "المحنة"، ما يعبر عن تلك الفجيعة الوطنية، ولذا وقع اختياره على تسمية هذه الرواية "براس المحنة"، لّما يحمل هذا المصطلح من معاني تدّل على المأساة والأحزان والألام، فالمحنة في هذه الرواية تجلت في أبشع صوّرها فلم تكن محنة واحدة، بل كانت محن كثيرة، حتى العناوين الفرعية التي وظفها في المتن الروائي كانت توحي بموضوع المحنة فمثلا نجده يعنون جزء من الرواية "بالخروج إلى التابوت" وفي جزء آخر "الخروج من التابوت" وآخر بعنوان الحب وعفونة الرصاص، "قراصنة الأحلام"، البحث عن العش"، فهذه العناوين اختار لها الروائي ألفاظ تعبر عن محتوى المتن الروائي:

التابوث، الرصاص، قراصنة البحث، فالقارئ بمجرد قراءة هذه العناوين يدرك مدى عمق هذه المحنة التي

صوّرها الروائي بكل شجاعة، فنقل للقارئ صورة المجتمع الجزائري في التسعينات، هذا المجتمع الذي حوله إلى شخصيات روائية، أسهمت في صنع الدلالة إسهاما فعالا، فقدم لنا نموذجا بالغ القسوة، صورت من خلاله عبثية الراهن، فجمبع شرائح المحتمع الجزائري، بفقراءه وأغنياءه، ومثقفيه وحكامه، واعدائه. قام بتصوير حالتهم في تلك الفترة، راس المحنة 0=1+1 إحدى المدونات التي حملت موضوع المحنة الوطنية على عاتقها، وعبرت عنه من خلال جميع عناصرها بداية من العتبات والزمان والأماكن التي احتضنت فيها الأحداث، وصولا إلى الشخصيات، فكانت المحنة تيمة بارزة في الرواية، إلاّ أن عز الدين جلاوجي في نهاية الرواية قدم للقارئ نهاية فيها أمل، فرغم سيطرت موضوع المحنة على الرواية إلاّ أن نهايتها كانت توحي

لإستمرار الحياة، كما كانت نهاية فيها حلم الخلاص من المحنة يقول الراوي وكله أمل أن تشرق الشمس في أرض الجزائر: « مزقي فستان الحداد.....إلبسي فستان الفرح»[1].

وما نستنتجه من موضوع المحنة في هذه الرواية، أن الإشكال الذي طرحته الرواية والذي تجلى من عتبة النّص «راس المحنة» لم تستطيع الرواية الإجابة عنه، فالسوؤال الذي طرحه الروائي من راس المحنة؟ لم يتوصل إلى إجابة مطلقة لهذا الإشكال، فقط قدم بعض الفرضيات، نظرا للغموض، الذي عرفته الجزائر في تلك الحقبة، ولذا قام بتنكير "راس" و لم يعرفه بالألف واللاّم، لأن راس المحنة مجهول، أما المحنة فقد عرفها وكأنه يقول، جميعنا نعلم أن الجزائر عانت من محنة، لكنّ سبب المحنة لا نعلمه، ولهذا وظف قصيدة "راس المحنة" في المتن الروائي:

« هذا وطنك وألاّ جيت براني

يا راس المحنة لله كلمني

حرّ أنت وألاّ مملوك حطّاني

وألاّ أنت خاين قبضوا عليك خيانة

بوعوك بقيمة سلطاني

وألا أنت ماكر نصاب للضلالة

وألاّ قاتل روح على أهلك جاني

وألاّ كانت نفسك ظالمة خوانة

هذا برّك وألاّ جيت برّاني

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، ص 217.

يا راس المحنة لله جاوبني»[1].

فهذه القصيدة تبرز، إرادة الروائي في الكشف عن راس المحنة الوطنية، من تسبب في سيلان دماء الأبرياء؟ من أدخل الشعب في دوامة العنف؟

وفي الأخير نستنتج أن عز الدين جلاوجي كان جريئ في هذه الرواية بأسلوبه الرمزي، وجريء في طرح القضايا الحساسة التي لها علاقة بالسياسة، المجتمع، الثقافة، الدين، الإقتصاد، الأخلاق، وكأنه ينظر لمجتمع يحتاج إلى إعادة تركيب.

[1] : عز الدين جلاوجي، راس المحنة 0=1+1، من ص 192 إلى 193.

خاتمة

لقد تمكنت في هذا العمل المتواضع بالإطلاع على مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر (العشرية السوداء)، حيث اتخذت الكتابة الروائية من المحنة موضوعا لها، فأعطت لها أبعادًا مغايرة محاولة بذلك ابراز تجليات المحنة في أبشع صورها، حيث استطاع الروائيون من خلال الأحداث المرعبة أن ينقلوا لنا الواقع المتأزم بصورة كاشفة وفاضحة لما كان يحدث محطمين بذلك كل الحواجز والقيود، فعبروا بكل شجاعة عن محنة وطنهم وهموم شعبهم، هذا ما فعله عز الدين جلاوجي في رواية "راس المحنة 0=1+1"، وبعد دراستي لهذا الموضوع والرواية التي اخترتها كنموذج لبحثي توصلت إلى عدة نتائج من بينها:

- 1 – أدب المحنة هو عبارة عن كتابات جريئة، استطاعت أن تؤسس لنمط روائي جديد، رغم خطورة تلك المرحلة.
- 2- المرأة عنصر مهم في رواية المحنة، وغالبا ما نستخدم كرمز للوطن المجروح.
- 3- اهتمت رواية المحنة بوضعية المثقف، الذي كان المستهدف الأول من طرف الجماعات الإرهابية، بالإضافة إلى تهميشه.
- 4- استطاعت رواية المحنة أن تثبت أن الإرهاب نتيجة حتمية للظروف السياسية والاجتماعية والتاريخية، وتنامي التطرف الديني وتعنت السلطة مقابل ذلك.
- 5- الهروب من الواقع بالعودة إلى الماضي كان بمثابة عملية تنفيس استخدمها الروائي لتخفيف من وطأة الألم والعنف والخوف الذي سيطر على أجواء الرواية.

إن تسعينات الجزائر كانت فترة صعبة من تاريخ الجزائر فما حدث فيها أثر على كل شرائح المجتمع الجزائري الذي أخذ عبرة من تلك المحنة واستخلص درسًا مفاده لا شيئ ينحل بالعنف والفوضى، وأكبر دليل ما يحدث في هذه السنة في الجزائر، فمنذ 22 فيفري 2019 والشعب الجزائري يخرج لشارع لدفاع عن حقوقهم والتعبير عن رأيهم ورفضهم للواقع،

بطريقة سلمية أدهشت العالم في مدى وعي الشعب الجزائري ووحدته وتلاحمه، فبعدما كنا نتساءل في الماضي من يقتل من؟ هاهو اليوم الشعب الجزائري يرّد بكل سلمية ووعي من يحمي من؟ وذلك خوفا أن يسقط وطننا في محنة أكبر من محنة العشرية السوداء.

وفي الأخير أختم بحثي بأعمق الأمنيات لوطننا الجزائر، أن يكون وطنا آمنا، مستقرا، وأدعوا الله سبحانه وتعالى أن يحمي وطننا الجزائر من كل شّر ويبعد عنه جميع المحن. آمين.

ملحق

❖التعريف بالكاتب:

عز الدين جلاوجي أحد أهم الأصوات الأدبية في الجزائر درس القانون والأدب وتخصص في دراساته العليا في المسرح الشعري المغاربي، اشتغل أستاذًا للأدب العربي بدأ نشاطه الأدبي في سن مبكر ونشر أعماله الأولى في بداية الثمانينات عبر الصحف الوطنيّة، كما ساهم في الحركة الثقافية والإبداعية فهو:

- عضو مؤسس لرابطة إبداع الثقافة الوطنية وعضو مكتبها الوطني منذ 1990.

- عضو مؤسس ورئيس رابطة أهل القلم الولائية بسطيف منذ 2001.

- عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.....وعضو المكتب الوطني لإتحاد الكتاب الجزائريين (2000-2003).

- مؤسس ومشرف على عدد كبير من الملتقيات الثقافية والأدبية منها:

- ✓ ملتقى أدب الشباب الأول 1996
- ✓ ملتقى أدب الشباب الثاني 1997
- ✓ ملتقى المرأة والإبداع في الجزائر 2000
- ✓ ملتقى الرواية الجزائرية بين التأسيس والتجريب ماي 2003
- ✓ ملتقى الرواية بين راهن الرواية ورواية الراهن ماي 2006
- ✓ الملتقى العربي أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية 2007

كما أنّه شارك في العديد من الملتقيات الثقافية والوطنية والعربية منها:

- ✓ ملتقى البابطين الكويتي بالجزائر سنة 2000.

- ✓ شارك في عكاظية الشعر بالجزائر العاصمة 2007 ومؤتمر اتحاد الأدباء والكتاب العرب ديسمبر 2003.
- ✓ ملتقى الرواية الجزائرية بالمغرب 2007.

ومن بين الدراسات النقدية نجد:

- ✓ النص المسرحي في الأدب الجزائري ط1 و ط2، شطحات في عرس عازف الناي اتحاد كتاب العرب بسوريا، الأمثال الشعبية الجزائرية بمنطقة سطيف ط1 و ط2، زهور ونيسي دراسات في أدبها.

أمّا في الرواية له:

- ✓ سرادق الحلم والفجيعة ط1 و ط2، والفرشات والغليان ط1، ط2، راس المحنة ط1، ط2، الرماد الذي غسل الماء، حوبه ورحلة البحث عن المهيدي المنتظر، العشق المقدنس ط1، ط2

في القصة:

- ✓ لمن تهتف الحناجر؟ خيوط الذاكرة، صهيل الحيرة في المسرح:
- ✓ النخلة وسلطان المدينة، تيوكا والوحش ورحلة فداء، البحث عن الشمس وأم الشهداء..

كما كتب عز الدين جلاوجي أربعين نصا مسرحيا للأطفال.

يعتبر عز الدين جلاوجي من الأسماء التي تخوض غمار التجريب وفي هذا الصدد قال عنه الأستاذ الدكتور العربي دحو: »لقد حمّل عز الدين جلاوجي نفسه مسؤولية ليس البحث

فحسب ولكن الإبتكار أيضا وسد الفراغات التي تزخر بها حياتنا في مختلف المجالات الأدبية فركب الصعب حقا، ولكنّه حقق في النهاية اللّذة والمتعة ليس لنفسه فقط ولكن للقارئ أي قارئ جاد»[1].

ويقول عنه الأستاذ الدكتور الباحث عبد الله ركيبي: «ومن الصعب أن نغوص في تجربة الأديب عز الدّين فهي غنية بالمواقف والأفكار والموضوعات والأحداث والأبطال أيضا.....ولغة الكاتب صافية جزلة وله قاموسه الخاص وهو قادر على تطوير هذه اللغة.....وأسلوب الكاتب يتميز بالقدرة على السرد المتدفق المفعم بالحيوية والحركة مع الميل إلى التركيز والتكثيف الأمر الذي يجعل الملتقي مشدود الإنتباه»[2].

ويقول كذلك عز الدين ميهوبي عنه: «يخطئ من يقول إن عز الدين جلاوجي كاتب قصة أو رواية أو مسرح أو نقد أو أنّه يكتب للأطفال فقط فهو واحد متعدد يصعب اختزال تجربته في كلمات معدودان وليس سهلا وضعه في خانة كتابة محدّدة. فهذا الكاتب الذي استطاع في طلع التسعينات أن يفرض حضوره في واجهة المشهد الثقافي بأعماله المختلفة يبتلع الزمن كما لو أنّ عقارب الساعة تتراجع أمام كتاباته النابعة من خجل الذات المندفعة نحو فضاءات أكثر خصوبة وأوسع ادراكا بصورة تدعو إلى الإعجاب والتأمل. عز الدّين جلاوجي يتنفس الكلمات كما لو أنّها هواءه الوحيد وينعمس في عوالم اللغة والتراث والحداثة بحثا عن جواهره المفقودة بأناة وسعادة»[3].

---

[1] : عز الدين جلاوجي: عز الدين جلاوجي، السبت 22 يناير 2011 م، ص07، الموقع ديوان العرب، منبر حر للفكر والثقافة والأدب com.diwwaniabe.www

[2] : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وهكذا نستنتج أن عز الدين جلاوجي استطاع أن يقلب موازبن الكتابة الروائية، حيث واكبت كتاباته سيرورة الحداثة بكلّ إبداع وتفوق فراهن على كسر جميع الأساليب والقواعد التي كانت سائدة، حيث ثار وتمرد عليها من خلال كسر جميع الحدود بين الأجناس الأدبية، فتحاوز كل ما كان متداول في الكتابات الروائية التقليدية، ومارس التجريب بكل وعي، والملاحظ في روايات وأعمال عزّ الدين جلاوجي أنّه يعالج جميع الموضوعات منها الاجتماعية، الثقافية، السياسية، الدينية، القومية والتاريخية والتراثية ولهذا استطاع أن يسمو بالأدب الجزائري بكلّ رقي وتحضر.

قائمة المصادر والمراجع

❖المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

1) أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأداب، بيروت، ط05، 1998م.

2) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر بيروت، ط03، 2003.

3) رشيد بوجدرة، تيميمون، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، ط02 الجزائر، 2001م.

4) سعيدة هوارة، شمس في علبة، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.

5) عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، دار النتهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2005م.

6) عز الدين جلاوجي، راس المحنة 1+1=0، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة طريق العلم.

7) عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيعة، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، الجزائر 2000م.

8) فضيلة فاروق، مزاج مراهقة، دار الفارابي، ط02، لبنان 2007م.

9) واسيني الأعرج، ذاكرة الماء-محنة الجنون العاري-ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ط 04، دمشق، 2008م.

10) واسيني الأعرج، سيّدة المقام-مراثي الجمعة الحزينة-المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط02 ، الجزائر، 1997م.

11) واسيني الأعرج، شرفات بحر الشمال، منشورات الفضاء الحر، ط01، الجزائر، 2001م.

ثانيا: المراجع

1- الكتب

12) أحمد فريحات، أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، لبنان، 1984م.

13) ادريس بوذيبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط01 ، 2000م.

14) آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر والتوزيع، دط، دت

15) بن جمعة بوشوشة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005م.

16) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت، 1990م.

17) حسين خمري، فضاء المتخيل- مقاربات في الرواية، منشورات الإختلاف، ط 01، 2002م.

18) سعد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز العربي، (د ط) (المغرب) 1992م.

19) سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1984م.

20) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، دار المعرفة، الكويت، 1998م.

21) عزّ الدين المدني: الأدب التجريبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972م.

22) عمار عموش، دراسات في النقد والأدب، دار الأمل، ط د، 1998.

23) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث- تاريخا وأنواعا وقضايا واعلام- ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون- الجزائر، دط، 1995م.

24) محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى، ط 01، دبي، 2011م.

25) مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2000م.

26) مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات "ابراهيم نصر الله"، دار فارس للنشر والتوزيع، ط01 ، بيروت، 2005م.

27) ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع، ط01، مصر، 2009م.

28) هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، الطرائق السردية، رؤية للنشر والتوزيع، ط01، مصر 2013م.

29) واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر- بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المكتبة الوطنية للكتاب، د ط، 1986م.

2- المجلات والجرائد:

30) ابراهيم سعدي: الرواية الجزائرية والراهن الوطني الخبر الأسبوعي، العدد الرابع، ديسمبر2.1999- عبد الله شطاح رواية تحت المجهر، الرواية التسعينية، كتابة محنة أم محنة الكتابة- يومية الحوار الجزائرية- الجزائر، 16-12-2009م.

31) أحمد بن سعيد العدواني، النهايات السردية في روايات غسان كنفاني، مجلة جامعة أم القرى، العدد السابع عشر، قسم الأدب، 2016م.

32) بشير مفتي، الكتابة الروائية والأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 159، 15-05-2001.

33) بن جمعة بوشوشة، جدلية الوطن المنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية "شرفات بحر الشمال"، مجلت العلوم الإنسانية، العدد العاشر، جامعة بسكرة، 2004

34) سامي الوافي، المكون السردي في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، مجلة كلية الاداب واللغات العدد العاشر والحادي عشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، جانفي، جوان، 2012م.

35) سعاد العتري: "المعرفي فاق الفني حضورًا في الرواية الجزائرية لفترة العشرية الحمراء"، حوار منشور بجريدة الأمة العربية، 12-01-2010م (الصفحة الثقافية).

36) عبد الحق عمور بلعابد، سرديات المحنة «الرواية الجزائرية من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب»، مجلة الاداب، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وادابها، الرياض،13، 03،1436ه/ 2015م.

37) عبد الحميد هيمة، المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد29، جامعة ورقلة، 2015م.

38) عمار زعموش، جدلية الواقع والفن في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكيّ"، مجلة التبيين العدد الثامن عشر، (الجزائر) 01 أبريل 2002م.

39) كربيع نسيمة، أبعاد الصراع الإيديولوجية لشخصية الفنان في رواية "بما تحلم الذئاب" لياسمينة خضرة، مجلة الأثر، العدد14 ، جامعة جيجل، الجزائر، 14 جوان 2012.

40) محمد داود، الأدباء الشباب والعنف في الوقت الراهن، مجلة انسانيات، مركز البحث في الأنتربولوجيا الإجتماعية الثقافية، وهران، العدد العاشر، جانفي، أفريل،

2000م.9- نوارة لحرش: "ماالذي تتركه الأزمة في الرواية" حوار صحفي مع مجموعة من الكتاب والروائيين، جريدة النصر05-07-2010م (الصفحة الثقافية)

41) مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول، د ط، سبتمبر، 1999.

3- الملتقيات والمقالات:

42) مزادي شارف: أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي، الجزائر، المركز الجامعي بسعيدة، 2000م.

43) مازوني فريزة، انفتاح الجنس الأدبي وتحولات الكتابة عند ابراهيم سعدي، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ط1، 2013م.

44) بو شعيب الساوري المغربي، التخييل الأسطوري للراهن في رواية سرادق الحلم والفجيعة، دراسات نقدية في روايات عز الدين جلاوجي.

45) هيمة عبد الحميد، سيميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لعز الدين جلاوجي، الملتقى الوطني الرابع "السيمياء والنص الأدبي"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

46) الطيّب بودربالة، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" للدكتور بسام قطوس، الملتقى الوطني الثاني "السيمياء والنّص الأدبي"، جامعة باتنة، قسم الأدب العربي-2002.

47) بوشعيب الساوري، بلاغة السخرية في رواية راس المحنة 1+1=0، المغرب.

48) بشير بويجرة محمد، أزمة الهوية أم عبثية الراهن في رواية "راس المحنة"، مقاربة حول تعالق راهنية الهوية، دراسات لأعمال عز الدين جلاوجي، جامعة وهران.

4- الرسائل الجامعية:

49) عبد الغني خشة، تجليات الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر 1988-1998م، رسالة ماجستر، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الاداب واللغات2001-2002م.

50) حسان راشدي، الرواية العربية الجزائرية، 1988-2000 صيرورات الواقع ومسالك الكتابة الروائية- مقارنة بنيوية تكوينية- رسالة دكتوراه- جامعة منتوري، قسنطينة 2002-2003م.

51) مليكة ضاوي، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية،2014 -2015م.

52) نور السادات جودي، بلاغة التقابل في روايات عز الدين جلاوجي، رسالة ماجستر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013،2014م

53) كترة عزيزي البنية الحوار في رواية " كبرياء وهوى" لجين أوستن، رسالة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي، 2016م.

5- المواقع الإلكترونية:

54) عز الدين جلاوجي، عز الدين جلاوجي، السبت 22 يناير2011 م، موقع ديوان العرب، منبر حر للفكر والثقافة والأدب.www.diwanarabe.com

55) عزالدين جلاوجي، حوبه ورحلة البحث عن مهدي المنتظر، مكتبة طريق العلمwww.books4arab.com

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ-هـ
مدخل: نشأة الرواية الجزائرية وتطورها	8-1
الفصل الأول: الملامح العامة لرواية المحنة	
1. تعريف المحنة	10
2. أثر المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة.	11
3. سمات التجريب في رواية المحنة	23
✓ توظيف الأجناس الأدبية	27
✓ توظيف الأسطورة	32
✓ تذويب الكتابة	34
✓ استخدام اللغة الشعرية	36
✓ توظيف اللهجات واللغات	38
✓ شيوع ظاهرة التناص	42
✓ استخدام الإحالات والهوامش	43
✓ تقسيم الرواية إلى أجزاء وفصول	43
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لرواية راس المحنة 0=1+1، لعز الدين جلاوجي	
1. عالم الرواية.	47
2. دراسة البنية الفنّية والسردية لرواية راس المحنة 1+1=0، لعز الدين جلاوجي	56
✓ تحليل العنوان	56
✓ دراسة الشخصيات.	63
✓ دراسة الإطار المكاني	104
✓ دراسة الإطار الزماني	114
✓ اللغة	120
✓ الحوار	124
✓ الأحداث	125

✓ النهاية	126
3. تجليات المحنة في رواية راس المحنة 0=1+1 لعز الدين جلاوجي.	128
✓ محنة اجتماعية	136
✓ محنة سياسية	138
✓ محنة أمنية	139
✓ محنة ثقافية	140
✓ محنة الهوية	142
✓ محنة الغلو في الدين	143
✓ محنة نفسية	145
خاتمة	153
الملحق	156
قائمة المصادر والمراجع	161

ملخص :

يعد أدب المحنة من أهم الإنتاجات الإبداعية الجزائرية لكونه أرخ لفترة متأزمة من تاريخ الجزائر ورسم بذلك تجربة أدبية جديدة، وكانت الرواية من بين الأجناس الأدبية التي عبرت عن محنة المجتمع الجزائري في العشرية السوداء، فأصبح المتن الروائي لوحة تعبر عن مشاهد القتل والعنف وصور الدّمار والضياع ، ولعلّ رواية "راس المحنة 1+1=0" لروائي عز الدين جلاوجي أحسن مثال، حيث حملت معاناة المجتمع الجزائري، وجسدت محنة شعب ومأساة وطن.

الكلمات المفتاحية: المحنة، رواية المحنة، العنف، الإرهاب

Résumé :

La littérature d'adversite est l'une des productions créatives algériennes les plus importantes, car elle remonte une période de crise dans l'histoire de l'Algérie et a donnée lieu à une nouvelle expérience littéraire . «la décennie noire». Le roman est devenu une scène de meurtre , de violence, d'images de destruction et de perte. Le roman "tête d'adversite " 1+1=0 écrit par le romancier Izz al-Din Glawji est le meilleure exemple, il a retenu les souffrances de la société algérienne et incarné la situation critique d'un peuple et la tragédie d'une patrie

les mots clés: Le roman de l'épreuve,La violence,La situation critique du terrorisme .

Abstract:

The literature of the plight is one of the most important Algerian creative productions as it dated for a period of crisis in the history of Algeria and drew a new literary experience. The novel was of the literary genres that expressed the plight of the Algerian society in the black decade. The novel became a scene of killing , violence and images of destruction and loss. The novel "head of the plight" 1+1=0 written by the novelist Izz al Din Glawji is the best example, it held the sufferings of the Algerian society and embodied the plight of :a people and the tragedy of a homeland key words

Key words: -The plight-The novel of the ordeal-Violence-Terrorism plight